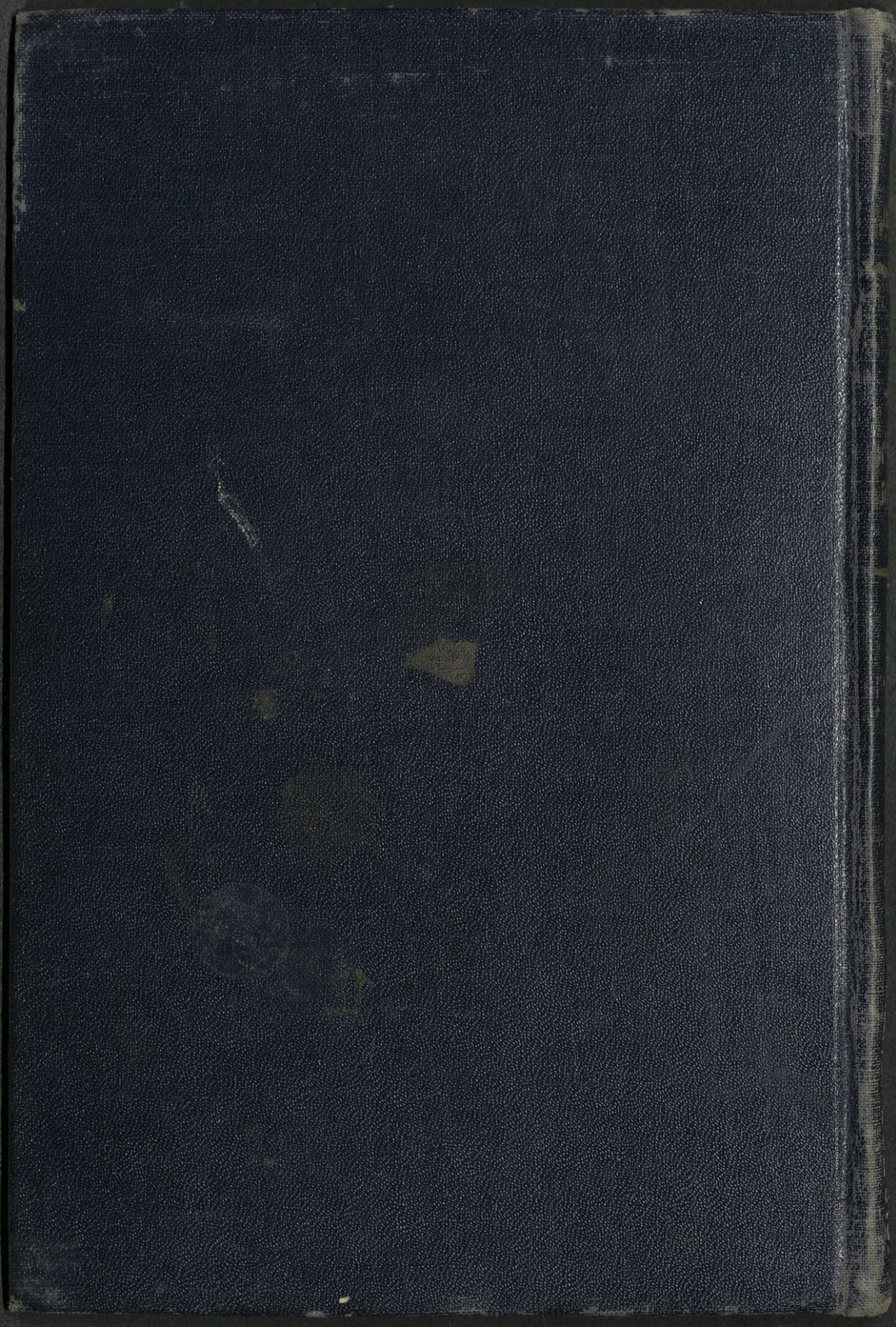
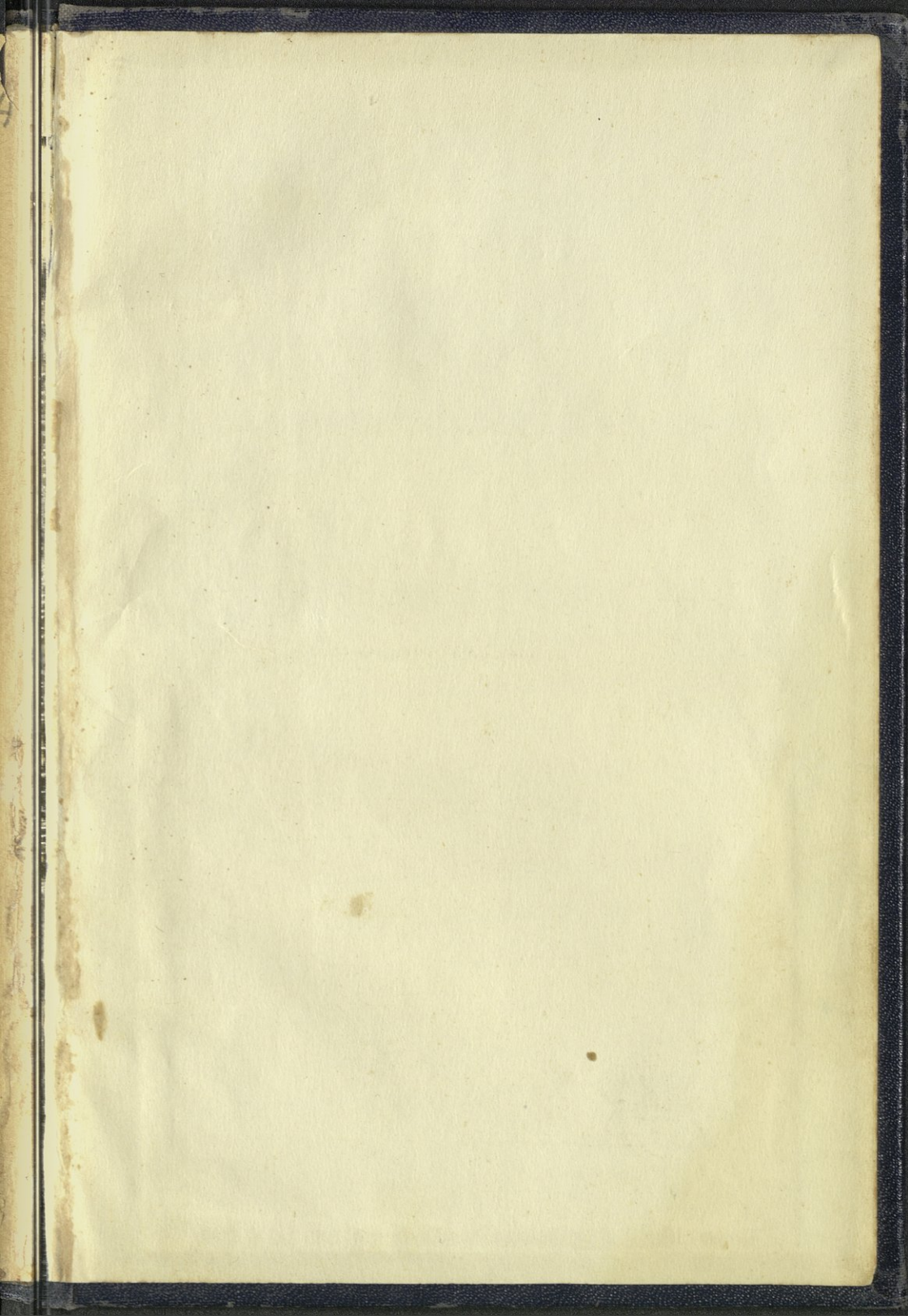






610.953

K4514 A

Ca

مفشورات

مطبعة الغري الحديثة في النجف

(١٠)

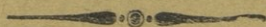
محمد الخليلي

طب الإمام الصادق (ع)

« لو اقتصد الناس في المطعم

لاستقامت ابدانهم »

الامام الصادق (ع)



﴿ طبع على نفقة صاحب ﴾

مطبعة الغري الحديثة في النجف

عبد الرضا محمد علي الطيبي

﴿ الطبعة الأولى ﴾

١٩٥٥

الغري الحديثة
مطبعة
النجف

الأهداء

كريم

الى من كونه الارادة الالهية فاحسنت ابداءها في ما كونت فكان مثلاً
أعلى للخلق الاسلامي الرفيع .

الى من جملة المسكون المبدع محلاً لثقل الامامة وناموساً من قدرته
الى ينبوع الحكمة الالهية .

الى من استقى علمه من منبع الرسالة عن آباءه الراسخين في العلم .
الى من افاض على الانسانية شتى العلوم والمعارف ليجمعها في ارفع درجات
السعادة الدنيوية والاخرية .

الى الامام جعفر بن محمد الصادق عليه وعلى آباءه التحية والسلام
اقدم ما يتفق ومقدوري راجياً ان ينال عنده الزلف فيشمني بشفاعته
عند الله يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم

محمد الخليلي

المتجفف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وآله الطاهرين

المقدمة

جدير بمن اراد الكتابة عن حياة الامام ابي عبد الله جعفر بن محمد الصادق (ع) أو أن يبحث في ناحية من نواحيها الكثيرة سواء أكانت علمية أم دينية ، فلسفية أم تربوية ، أخلاقية أم أدبية ، أن يرى السبيل أمامه جلياً واضحاً ، والمجال فيها متسعاً قريب الغاية . ذلك لما انطوت عليه تلك النفسية السامية من العلوم الآلهية ، والمعارف الجليلة الاسلامية ، والفلسفة العالية ، والأدب الجم إلى غير ذلك مما تمثلت في شخصيته الفذة من مكارم الاخلاق ومثل الفضيلة والانسانية الكاملة ، التي لم تقف دون بيانها يراعة الكاتب أو المؤرخ ، ولم يحتاج أي أديب أو شاعر إلى تأمل كثير ، أو إجهاد فكر مزايد في نظمها أو الكتابة عنها مجحلاً أو مفصلاً .

بهذه الفكرة المساعة عندي ، وهذا الخيال الواسع لدي ، راقني البحث والتحدث عن شعاع من أشعة تلك الحياة الجبارة والكتابة عن ناحية من نواحي هذه الشخصية العظيمة ، وجذبتني تلك السهولة المتصورة إلى أن طمعت أن أكتب ، وأن أشبع الموضوع بحثاً فأعطيه حقه من البيان والتوضيح لاسيما وأن مثل هذا الموضوع ، هو من مهنتي ومهمتي ، أغني الكلام عن طب الامام عليه السلام .

نعم لقد كنت أراه بحثاً واضحاً لاغموض فيه ، وموضوعاً سهلاً يجري القلم فيه دون ما توقف كثير أو تأمل زائد . بيد أني عند ما اندفعت للكتابة

وحاولت الشروع في الموضوع ، شعرت بخطورة الموقف ، وأحسست
بعموية البحث وادركت عسر تناول الغاية التي كنت أتوخاها من تلك الكتابة
لذلك فقد أصبحت بين اقدام واحجام ، وترديد وتصميم ماسكاً باليراعة ،
مفكراً في الطريق التي أسلكها لبلوغ المقصد ، متفحصاً عن الباب الذي افتحه
للدخول في البحث . واخيراً وبعد لأي ، أرتأت أن أذكر أولاً نبذة قصيرة
عن تأريخ الطب عند العرب في الجزيرة ، وإنه كيف تدرج من مهده حتى
درج إلى الجزيرة العربية ، ثم اخذ يتربى هناك في احضان العروبة ،
ويتعرع في حجر الاسلام ، ویشمو في هاتيك الربوع العامرة بالعقول
السليمة ، والافكار المستقيمة ، والفترة المعتدلة الصافية . لأجعلها مقدمة
للبحث حتى يتسنى للقارئ الكريم ان يقف على مبلغ توسعه في عصر الامام
عليه السلام عن بصيرة وخبرة كاملة ، ولتكون كتمهيد واف للاطلاع على
كامل معرفة الامام (ع) بهذا العلم الجليل ، وما أبداه من الحكم البالغة فيه ،
دون أي تعليم او دراسة إلا ما اخذه عن آبائه واجداده عليهم السلام عن
النبي (ص) عن جبرائيل « ع » عن الله تعالى .

وسوف نثبت لك ذلك فيما يلي من مباحث هذه الرسالة ، واليك ما أردنا تقديمه

تاريخ الطب ومبدأ ظهوره :

لقد تضاربت أقوال المؤرخين واختلف الحكماء والاطباء ، في ذكر بدء
ظهور هذا العلم الجليل ، وكيفية حدوثه في العالم ، فما اوقف الباحث موقف
الحيرة والشك ، فلا يدري كيف يبدي الحقيقة ، وكيف يظهر للقارئ بمظهر
الكاتب الأمين ، والمؤلف المنصف .

فقد نسب البعض اكتشافه او اختراعه اولاً إلى الكلدانيين ، وآخرون

الى سحرة اليمين ، وغيرهم الى كهنة بابل ، واكثرهم الى قدماء اليونانيين ، قال ابن ابي اصيبعة الطبيب المؤرخ في كتابه - عيون الأنباء :
 إن اختراع هذا الفن لا يجوز نسبته الى بلد خاص ، او مملكة معينة ، او قوم مخصوصين . اذ من الممكن وجوده عند امة قد انقرضت ، ولم يبق من آثارها شيء ، ثم ظهر عند قوم آخرين ، ثم انحط عندهم حتى نسي ثم ظهر على اساس هؤلاء لدى غيرهم فنسب اليهم اختراعه او اكتشافه انتهى .
 وقال غيره من المؤرخين : إن الطب من جملة العلوم التي وضع اساسها الكلدان وكهنة بابل ، وانهم هم اول من بحث في علاج الأمراض ، فكانوا يضعون مرضاهم في الأزقة ومعابر الطرق ، حتى اذا مر بهم احد قد اصاب بذلك الداء وشفي اعلمهم بسبب شفائه ، فيكتبون ذلك على الواح يعلقونها في الهياكل ، فلذلك كان التطيب عندهم من جملة اعمال الكهنة وخصائصهم ، ومن الكلدان اخذته سائر الامم القديمة ومن جملتها العرب ولذا تراه متشابهة عند اكثر الأمم في مصر وفينيقية وآشور ثم تناولته الامة اليونانية ، فافتقنوه إحكاماً وأحكاماً ورتبوا ابوابه وفصوله حتى جعلوه علماً له بتدأه وله انتهاء ثم اخذته عنهم الفرس والروم .

الطب عند العرب :

أما العرب الذين كانوا معاصرين لتلك الدول ، فقد اقتبسوا منهم بحكم المجاورة والمخالطة شيئاً من الطب أضافوه إلى ما حصلوه من الكلدان وإلى ما استنبطوه هم أنفسهم بالفطرة والذكاء والتجارب .
 وقد ذكر التاريخ : أن أول من تعاطى الطب من العرب بعد الكهنة ، هم جماعة ممن خالطوا الروم والفرس في القرن السادس الميلادي ، وقبل ظهور

الاسلام بقليل واخذوا العلم عنهم . وكان أشهرهم يومذاك رجل من تيم الرباب
يقال له « ابن حديم » وهو الذي ضرب به المثل في الخذاقة والطب ،
ف قيل فيه : اطب من ابن حديم ، وقال فيه الشاعر : أوس بن حجر :

فهل لكم فيها إلي فأنني بصير بما أعبي النطاسي حديما (٢)

ثم جاء بعده - الحارث بن كلدة الثقفي (٣) - طبيب العرب الشهير المتوفى
سنة ٥٠ هـ وهو خريج مدرسة « جند يسابور » (٤) المعروفة في خوزستان
الفرس ، والشهرة عند العرب (بمعهد الطب الاسلامي) . فقد كانت العرب
تعرف هذه المدرسة وتقدرها ، لاسيما بعد فتح الاسلام لبلاد الفرس على
عهد الخليفة الثاني سنة ١٩ هـ . وقد كان الحارث هذا يتعاطى الطب في الطائف
بشهرة واسعة وقد أدرك الاسلام ولم يسلم ، وكان النبي (ص) يأمر من

(١) راجع ترجمته في كتابنا معجم أدباء الأطباء ج ١ .

(٢) حذف لفظ ابن اعتماداً على الشهرة ولأستقامة الوزن .

(٣) راجع ترجمته في معجمنا ج ١ .

(٤) جند يسابور مدينة في خوزستان في الجنوب الغربي من ايران
بناها كسرى الاول سابور ابن اردشير الساماني سنة ٣٥٠ م فنسبت اليه
وكان قد اسكنها سبي الروم وطائفة من جنده وقد أفتتحها المسلمون أيام
الخليفة الثاني سنة ١٩ هـ .

وكانت فيها مدرسة عظيمة يدرس فيها الطب وسائر العلوم المختلفة ،
وكان القائم بتدريسها نصارى النسطور « النسطوريون » الذين حملوا اليها
مؤلفات اليونان الطبية والفلسفية وترجموا الكتب الى السريانية التي كانت
لغة التدريس في تلك المدرسة . وقد اشتهرت هذه المدرسة ونبغ منها أطباء
معروفون خدموا الصناعات والعلم . وهم الذين ادخلوا الطب الى العراق زمن
الخليفة العباسي المنصور كما سنعرفه مفصلاً في بعض فصول هذه الرسالة .

كانت به علة أن يأتيه ويستوصفه .

ثم كان بعده « ابن رومية » الجراح الميمى . ثم النضر بن الحارث بن كلدة الذي يعد من أقدم من اشتغل من العرب في العلوم الدخيلة من طب وغيره وكان هو في عصر النبي « ص » أيضاً ، ولكنه لما كان يجاري اباسفيان بعداوة النبي « ص » لانه تقفي وبنو ثقيف حلفاء بني امية ، أمر النبي « ص » عند ما اسره المسلمون في بدر بقتله ، فقتل وذهب بموته عامه وطبه ، ولم يكن له مؤلف او نقل يعلمانا بمبلغ علمه وطبه .

ثم ذهب الطب من العرب ، وخفي عندهم رجعاً من الزمن ، وذلك منذ ظهور الدعوة الاسلامية حتى شطر من الدولة الاموية . إذ المسلمون كانوا حينذاك يعتقدون ، أن الاسلام يهدم ما قبله ، ولا ينبغي أن يتلى غير القرآن ، أو ان يدرس غير العلوم القرآنية ، فذهلوا عن سائر العلوم بما فيها الطب ، لانشغالهم بانشاء الدولة الاسلامية ، ونشر الدعوة المحمدية وقمع الشرك ، وإعلاء كلمة التوحيد ، وتوحيد الكلمة عليها .

ولكن لما اتسع نطاق الاسلام ، وعلا سلطانه ، وبلغ الدين الحنيف ذروته التي خضعت لها الامم ، وذلت لها الملوك ، لم يقتنع المسلمون ببسط سلطانهم على شرق البسيطة وغربها دون أن يلجوا ابواب العلوم ، فيأخذوا من كل قطر محاسنه ، ويستلبوا كنوزه العامية . وقد كان للطب عندهم اوفر نصيب من تلك العناية وذلك الاهتمام ، حيث اقتبسوه أولاً ، ورغبوا اليه قبل سائر العلوم الدخيلة التي دخلت الجزيرة العربية يومذاك .

وقد ذكر لنا التاريخ واخبرتنا التراجم ، أن اول من فطن الى ذلك واول من اشتغل في نقل الطب وسائر العلوم الدخيلة الاخرى مثل الكيمياء والتجويد الى اللغة العربية ، بعد تلك الفترة الطويلة ، هو خالد بن يزيد بن معاوية

الاموي المدعو عند العرب (بحكيم آل مروان) والمتوفى سنة ٨٥ هـ قاله
بعد ما غلبه بنو مروان على الخلافة بعد أخيه معاوية وقد كان رجلا طموحا
ذكيا ، انصرف الى اكتساب المعالي عن طريق العلم ، ولا أجل ذلك فقد
استقدم جماعة من علماء الروم ، منهم الراهب الرومي (موريانوس) وطلب
اليه أن يعامه الكيمياء ، ولما تعامها أمر بنقلها الى العربية ، فنقلها له رجل
يدعى (إصطفان) . فكان هذا أول نقل في الاسلام من لغة إلى لغة .

ثم جاء بعد إصطفان (ماسرجويه) فنقل كتب كثيرة من الطب
والفلسفة ، فكان لبني أمية بعض الآثار العامية في الاسلام .

ثم أصاب الطب بعد (خالد) فترة دامت إلى أواخر الأمويين وإلى
عصر السفاح من بني العباس ، حتى إذا ما افضت الخلافة إلى أخيه أبي جعفر
المنصور سنة ١٣٦ هـ بانته له طلائع ، وظهرت لقدمه بشائر .

فلقد كان المنصور كلما باعمال التنجيم شغوفاً بالعمل باقوال المنجمين في
خلافته وقبلها حتى لم يكن يعمل عملاً إلا بعد استشارة منجمه الخاص
(نوبخت) الفارسي وابنه (أبي سهل) ولقد ترجموا له كثيراً من كتب
التنجيم والفلك ثم ازدادت رغبة المنصور لطلب العلوم الدخيلة وبحكم المثل
المشهور (الناس على دين ملوكها) رغب كثير من الناس إلى طلب تلك العلوم
وتوسعوا في درسها والبحث عنها وفيها حتى طلب المنصور من ملك الروم
أن يبعث اليه ببعض كتب التعاليم فبعث اليه بجملة كتب في علوم شتى ومن
جملة كتبها كتاب اقليدس في الهندسة وبعض كتب الطبيعيات والمجسطي وكثير
من كتب الطب فاهتم العرب بنقلها الى العربية واخذوا يتهافتون عليها تهافت
الفراس ويردون مناهلها ورود الظآن إلى الماء الزلال .

وقد كان علم الطب من بين تلك العلوم اكثرها اهتماما وعناية لديهم وقد

ساعد على هذا الأمر يومذاك ان المنصور اصيب بمرض في معدته انقطعت
من أجله شهوته للطعام ولم ينفعه العلاج بالرغم من عناية اطباء مصره واهتمامهم
في امره فطلب الى وزيره الربيع ان يفحص له عن طبيب حاذق يرجع اليه
في علاج ما كان يجده من ألم ولما اخذ الربيع يفتش عما طلب اليه الخليفة
ارشد الى الطبيب (جورجيس) النصراني رئيس مارستان او مدرسة
(جنديسابور) وكان ماهراً حاذقاً في الطب كثير التأليف والتصنيف فيه
باللغة السريانية ، فبعث اليه المنصور من احضره له ، بعد ان خلف ولده
(بختيشوع) مكانه ، ولما ورد على الخليفة اكرمه ، ووقع عنده موقعاً
حسناً لما رأى فيه من الوفاء ورزاة العقل ، لاسيما وقد ابل عن مرضه إبلالاً
سريعاً ، وشفي من علته شفاء عاجلاً كاملاً بعلاجه .

ولما اراد الرجوع إلى بلده ووطنه منعه الخليفة ، واغدى عليه الاموال
والعطايا الوفيرة طمعاً في ابقائه ، فبقي في بغداد يطلب المرضى مدة طويلة ،
ثم ترجم إلى العربية كثيراً من كتبه الطبية ومن كتب غيره في الطب .
وبهذه الحركة من (جرجيس) اخذ الكثير من الأطباء غيره في بغداد
ايضاً ينقل ويترجم من السريانية إلى العربية وذلك بعناية المنصور وبذله
الاموال للمترجمين والناقلين لاسيما في الطب . فالتسع نطاق الطب في بغداد
وتكاثر رواده ووراده ، وراجت التأليف ونبع كثير من نطس الاطباء
وشاعت عنهم المعاجز الطبية الكثيرة .

ولما اشتهرت مساعدة المنصور وسائر الأمراء والمثربين من أهل بغداد
لاصحاب العلوم ، رغّب الكثير من أطباء (جنديسابور) بالانتقال الى بغداد
— بله العلم والمال — وأرسل الطبيب (جرجيس) على ولده (بختيشوع) بأمر
الخليفة ، ثم جاء بعده (ماسوية) أبو يوحنا ثم أعقبه يوحنا وهكذا أخذت

الاطباء تتقاطر وتتوارد من سائر الأقطار إلى دار السلام ، حتى أصبحت دار الخلافة (بغداد) في عصر المنصور ، وهو العصر الذي عاش فيه - الامام الصادق (ع) - كعبة العلم ومقصد رواد الفضل والادب ومقر نقلة العلوم والفنون وعلى الاخص الطب الذي شاع تدريسه وكثر المعالجون به ، حتى قصدهم المرضى من كل حذب وضوب ، للاستشفاء والعلاج .

أما أبو عبد الله الصادق عليه السلام ، فقد كان نادية في ذلك العصر مهوى قلوب رواد الفضل والفضيلة ، والمدرسة الكبرى لسكل علم وفن وفلسفة وأدب ، إذ كان عليه السلام يلقي فيه على أصحابه وتلامذته والمنتهلين من بحر علومه من كل ما يشفي غليل القلوب الصادية ويروي النفوس المتعطشة المشوقة إلى طلب المعارف السامية دروساً بليغة لم تكن تدر كها عقول علماء ذلك الجيل لولاه ، ولم تقف على أسرارها - لو لم يوضحها لهم - خول الحكماء في ذلك العصر .

ونظرة واحدة في كتاب توحيد المفضل (١) وتأمل بسيط في بعض مناظراته الطبية مع أطباء عصره يكفيانك دليلاً على وفور علمه الغزير وكامل معرفته بهذا العلم الجليل (علم الطب) ثم ينبئانك أن أقواله القيمة وكلماته الحكيمة في الطب لم تكشف حقيقتها ، ولم يدرك مغزاها أطباء عصره كما اكتشفت بعد عدة قرون ، حيث تدرج الفكر البشري مرتقياً - حسب نظرية النشوء والارتقاء - وأخذت افكار نطس الأطباء وعقول جهابذة العلماء والحكماء تنمو بالتجارب ، وتتقدم بالاكتشافات ، حتى بلغت عصرنا الحاضر ، عصر النور والعلم والاختراع ، فادركت أسرار كلامه ، ووقعت

(١) مجموعة محاضرات القاها الامام الصادق (ع) على تلميذه المفضل

ابن عمر في إثبات التوحيد .

على مكنون أقواله .

وإليك فيما يلي من الفصول الآتية بعض ما وصلنا إليه من كلامه (ع)
في الطب وقليلاً من كثير مما ذكرته الكتب وأخبرتنا به الأحاديث الصحيحة
المسندة من وصفاته الطبية ومناظراته الدالة على معرفته الكاملة في أصول
الطب وفروعه .

(طب الامام عليه السلام)

تمهيد :

هبط القرآن الكريم على صاحب الرسالة العامة محمد بن عبد الله صلى الله
عليه وآله بكل ما يصلح هذه البشرية في كافة نواحيها الحيوية فلم يغادر
صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ، ولم يفرط في شيء مما تحتاجه هذه الحياة
إلا عالجها ولم يهمل جانباً من جوانب إصلاحها إلا أبانها ، ملائماً لكل ظرف
من ظروفها موافقاً لكل دور من أدوار حياة الانسان ، في أجياله المتعاقبة
وعصوره المتتالية .

فهو قانون عالمي عام ، وناموس إصلاحي شامل ، ومنهاج سماوي حكيم
أرسله اللطيف الخبير ، بواسطة أصدق خلقه لاسعاد هذا الانسان الجاهل
وتقويم ما اعوج من طباعه ، وانتشاله من هوة الهمجية إلى مرتع ذروة
الراحة والهناء . فكان من الضروري - نظراً لهذه الغاية السامية - أن ينجي
شاملاً بغنايته الإصلاحية كل ناحية من مناحي الحياة الانسانية ليسير كل
حي في طريقه المستقيم إلى السعادة ، فيؤدي واجبه من الطاعة والعبادة .

وهكذا فقد جاء القرآن الحكيم ، وفيه تبيان كل شيء وهدى ورحمة للعالمين
 حاوياً من الكنوز العلمية ، والارشادات السماوية ما لا يعلمه الا الله والراسخون
 في العلم ممن من الله عليهم بمعرفتها واختارهم للاطلاع عليها وخصهم دون خلقه
 بها فجعلهم أدلاء على الخير ، ومصابيح يهتدى بهم نحو سبيل الحياة السعيدة .
 ولما كانت التكليف السماوية لم تشرع إلا لسليم العقل ، ولم يكن العقل
 السليم إلا في الجسم السليم ، كان من الحكمة واللفظ الالهي أن يلحظ
 القرآن هذه الناحية المهمة من الانسان ، أعني صحة الجسم ملاحظة خاصة ،
 وأن يهتم بها اهتماماً لا يقل عن الاهتمام بالتكليف الشرعية نفسها لتوقعها عليها .
 ولا جله فقد ذكر الكتاب المجيد كل أسس الطب ودعائم الصحة في آية
 واحدة ترجع اليها خلاصة أفكار الفلاسفة والحكماء طيلة قرون عدة وتقف
 عندها تجارب العلماء ، والاطباء حتى في هذا العصر ، عصر العلم والاختراع
 وهي قوله تعالى : يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد ، وكلوا واشربوا
 ولا تسرفوا إن الله لا يحب المسرفين (١) .

فإن كافة الأطباء قد أجمعوا بعد التحقيق العلمي المستمر ، والتجارب
 المتعاقبة على أن مدار صحة الاجسام ودعامة سلامتها ، هو الاعتدال في الطعام
 وأن هذا الاعتدال إذا ما تعدى إلى الافراط او الاسراف ، أصبح وبالاً على
 البدن وفتح باباً واسعاً للفتك بالاجسام والنفوس . وما هذا النتاج العلمي
 الذي يفخر به الطب في تقدمه إلا مؤدي هذه الكلمات الثلاث : كلوا . واشربوا .
 ولا تسرفوا . حيث جمعت في طيها جميع أسس علم حفظ الصحة وخلاصة نوااميسه
 أما النبي الكريم صاحب الرسالة صلى الله عليه وآله فقد وردت عنه من
 التعاليم والارشادات الصحية ما تنوف حصد الحصر ، وكلها أصول ترتكز

عليها قواعد هذا العلم وتدعم بها أركانها مثل قوله ﴿ص﴾ مشيراً إلى أعظم نقطة يتطلبها علماء هذا الفن في أبحاثهم وهي : النظافة والرياضة العقلية والبدنية حيث يقول : بنس العبد القاذورة (١)

كل لهو باطل إلا ثلاث : تأديبه الفرس ، ورميه عن قوسه ، وملاعبته امرأته فإنه حق (٢) روحوا القلوب ساعة بعد ساعة (٣)

كما كان (ص) يقول وهو حديث مشهور : المعدة بيت الداء والحمية رأس كل دواء واعط كل بدن ماعود .

وكقوله ﴿ص﴾ : تداووا فما أنزل الله داء إلا أنزل معه الدواء إلا **دواء السلام** (٤) فإنه لا دواء له (٥)

وقوله (ص) : لا تكرر هوامرضاكم على الطعام فإن الله يطعمهم ويسقيهم (٦)

وقوله (ص) في الحمى : أطفئوها حماكم بالماء (٧)

وكان (ص) إذا وعك دعا بماء فأدخل فيه يده (٨)

وعنه ﴿ص﴾ : أن قوماً من الانصار قالوا له : يا رسول الله . ان

وعنه (ص) : أن قوماً من الانصار قالوا له : يا رسول الله . إن لنا

جاراً يشتكي بطنه أفئذن لنا أن ندأوه ؟ قال (ص) بماذا تدأونه ؟ قالوا :

يهودي ههنا يعالج من هذه العلة . قال ﴿ص﴾ : بماذا ؟ قالوا يشق بطنه

فيستخرج منه شيئاً ، فكره ذلك رسول الله ولم يجبههم فعاودوه مرتين أو

ثلاث ، فقال (ص) : افعلوا ما شئتم . فدعوا اليهودي فشق بطنه ونزع منه

(١) دعائم الاسلام المخطوطة للقاضي النعمان المصري المتوفي ٣٦٣

(٢) الفصول المهمة للجر العاملي (٣) مجلة الدكتور المصرية

(٤) الموت (٥) دعائم الاسلام (٦) دعائم الاسلام (٧) دعائم الاسلام

(٨) متفق عليه بين الطرفين

رجرجاً كثيراً ثم غسل بطنه ، ثم خاطه وداواه فصيح واخبر النبي بذلك فقال : ان الذي خلق الأدوية جعل لها دواء ، وإن خير الدواء الحجامه والفصاد والحبيبة السوداء « الشونيز » (١)

أقول : وهذا الحديث الشريف يعطينا درساً عن قدم فكرة العمل الجراحي في العلاج ، وأنه لا حدائنه له ، وأنه آخر الدواء كالكي لا يحسن التسرع اليه وان لا وازع عنه في الشرع المقدس .

وأما صنو النبي (ص) أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) فيمن عن اعتناؤه البالغ بهذا الشأن قوله المشهور : العلم عالمان علم الابدان وعلم الاديان (٢) وقوله (ع) بلغظ ابن شعبة في تحف العقول ص ٤٨ : العلم ثلاثة الفقه للاديان والطب للابدان والنحو للسان . وقوله (ع) بلغظ الكراجكي في جواهره : العلوم أربعة . الفقه للاديان والطب للابدان والنحو للسان والنجوم لمعرفة الأزمان .

وله عليه السلام كلمات قيمة في جوامع علم الابدان كقوله (ع) اكسروا حر الحمى بالبنفسج والماء البارد (٣) وقوله (ع) لا تميموا القلوب بكثرة الطعام والشراب فان القلب يموت كالزرع اذا كثر عليه الماء (٤) .

وقوله لابنه الحسن عليها السلام : يا بني ألا أعلمك اربع كلمات تستغني بها عن الطب فقال (ع) بلى . قال لا تجلس على الطعام الا وأنت جائع ، ولا تقم عن الطعام الا وانت تشتهي ، وجود المضغ ، واذا نمت فاعرض نفسك على الخلاء . فاذا استعملت هذه استغنيت عن الطب « ٥ »

(١) دعائم الاسلام (٢) حديث مشهور لم أقف على مصدره .

(٣) كشف الأخطار لشمس الدين ابن محمد الحسيني .

(٤) كشف الأخطار . (٥) خصال الصدوق .

وقوله ﴿ع﴾ من اراد البقاء ولا بقاء فليباكر الغذاء وليؤخر العشاء
ويقل غشيان النساء وليخفف الرداء «الدين» «١» .

وإن الطف مارأيت له عليه السلام من المواقف الطيبة الكريمة ما أخرجه
رجال الحديث من الفريقين ، وقد ذكره من رجال أهل السنة : أسعد ابن
ابراهيم الأردبيلي المالكي ، بأسناده عن عمار بن ياسر وزيد ابن أرقم قالا :
كنا بين يدي أمير المؤمنين «ع» واذا بزعة عظيمة ، وكان على دكة
القضاء فقال «ع» : يا عمار إئت بمن على الباب قال فخرجت واذا على الباب
امرأة في قبة على جمل ، وهي تشتكي وتصيح : يا غياث المستغيثين اليك توجهت
وبوليك توسلت ، فيبض وجهي ، وفرج عني كربتي . قال عمار وكان حولها
الف فارس بسيوف مسلولة ، وقوم لها وقوم عليها فقلت أجبوا أمير المؤمنين
«ع» فزلت المرأة ، ودخل القوم معها المسجد واجتمع أهل الكوفة . فقام
امير المؤمنين «ع» وقال : سلوني ما بدا لكم يا أهل الشام فنهض من بينهم
شيخ وقال : يامولاي هذه الجارية ابنتي ، وقد خطبها ملوك العرب وقد
نكست راسي بين عشيرتي ، لأنها عاتق حامل ، فاكشف هذه الغمة .

فقال امير المؤمنين (ع) : ما تقولين يا جارية ؟ قالت يامولاي :
أما قوله إني عاتق فقد صدق ، وأما قوله إني حامل فوحقك يامولاي
ما عاتت من نفسي خيانة قط .

فصعد المنبر وقال (ع) : علي بداية الكوفة ، فجاءت امرأة تسمى
« لبناء » وهي قابلة أهل الكوفة ، فقال لها اضربي بينك وبين الناس حجبا
وانظري هذه الجارية ، عاتق حامل أم لا . ففعلت ما أمرها «ع» ثم خرجت
وقالت : نعم يامولاي هي عاتق حامل . فقال «ع» من منكم يقدر على قطعة

ثلج في هذه الساعة ؟ فقال ابو الجارية : الثلج في بلادنا كثير ولكن لا نقدر عليه ههنا ، قال عمار : فمد يده من اعلا منبره وردھا واذا فيها قطعة من الثلج « ١ » يقطر الماء منها ثم قال : يا داية خذي هذه القطعة من الثلج واخرجي بالجارية من المسجد واتركي تحتها طستاً وضعي هذه القطعة مما يلي الفرج ، فسترين علقه وزنها سبعة وأخسون درهماً ففعلت ورجعت بالجارية والعلقة اليه وكانت كما قال « ع » ثم قال لابي الجارية : خذ ابنتك فوالله ما زنت ولكن دخلت الموضع الذي فيه الماء فدخلت هذه العلقه في جوفها وهي بنت عشر سنين وكبرت إلى الآن في بطنها « ٢ » .

ومن لطائف ما وجدناه لأمر المؤمنين « ع » ايضاً ما رواه اليافعي في روض الرياحين ص ٤٢ قال : مر علي بن ابي طالب كرم الله وجهه في بعض شوارع البصرة ، فاذا هو بحلقه كبيرة والناس حولها يعدون اليها الأعناق ويشخصون إليها بالأحداق فمضى اليهم لينظر ما سبب اجتماعهم فاذا فيهم شاب من احسن الشباب بقي الثياب ، عليه هيمه ووقار ، وسكينة الأخيار ، وهو جالس على كرسي ، والناس يأتونه بقوراير من الماء « ٣ » وهو ينظر في دليل المرضى « ٤ » ويصف لكل واحد منهم ما يوافقهم من انواع الدواء

« ١ » أقول : لا غرابة في مثل هذا بعد ما قص علينا القرآن الكريم من قصة آصف بن برخيا وقوله اسليمان « ع » لما استحضر عرش بلقيس عنده : أنا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك : وشتان بين ابن برخيا ومولانا أمير المؤمنين « ع » فان ذلك عنده علم من الكتاب وهذا عنده علم الكتاب كله « ٢ » بحار الأنوار للعلامة المجلسي ج ١٤ ص ٥٢٥ .

« ٣ » المراد من الماء ههنا هو البول من المريض .

« ٤ » دليل المرضى أي بولهم .

فتقدم اليه (ع) وقال : السلام عليك ايها الطبيب ورحمة الله وبركاته ، هل عندك شيء من ادوية الذنوب ؟ فقد أعياى الناس دواؤها يرحمك الله فاطرق الطبيب برأسه إلى الأرض ولم يتكلم فناده الامام (ع) ثانية فلم يتكلم ، فناده ثالثة كذلك فرفع الطبيب رأسه بعد ما رد السلام وقال او تعرف انت ادوية الذنوب بارك الله فيك ؟ قال « ع » نعم قال صف بالله التوفيق فقال (ع) : تعمد إلى بستان الايمان ، فتأخذ منه عروق النية ، وحب الندامة وورق التدبر ، وبرزالورع ، وثمر الفقه ، واغصان اليقين ، ولب الاخلاص وقشور الاجتهاد ، وعروق التوكل واكمام الاعتبار وسيقان الأمانة ، وترياق التواضع ، تأخذ هذه الأدوية بقباب حاضر وفهم وافرباً تأمل التصديق وكف التوفيق ، ثم تضعها في طبق التحقيق ، ثم تغسلها بماء الدموع ، ثم تضعها في قدر الرجاء ، ثم توقد عليها بنار الشوق ، حتى ترغى زبد الحكمة ثم تفرغها في صحاف الرضا ، وتروح عليها بمراوح الاستغفار ، ينعقد لك من ذلك شربة جيدة ثم تشربها في مكان لا يراك فيه احد إلا الله تعالى فان ذلك يزيل عنك الذنوب حتى لا يبقى عليك ذنب ، فانشأ الطبيب يقول :

ياخاطب الحوراء في خدرها شمر فتقوى الله من مهرها

وكن مجدداً لا تكن وانياً وجاهد النفس على صبرها

إلى غير ذلك مما يدلنا على ما للدين الخفيف من العناية بالصحة وما لدى النبي « ص » واوصيائه من المعرفة الالهية والكنوز القرآنية التي اختارهم لمعرفة فلقد كان النبي « ص » في حياته الشريفة هو الواسطة الكبرى بين الخالق وخلقهم ولما رفعه الله اليه ، أبى لطفه العام وكرمه الشامل أن يترك هذه الناس بعد النبي « ص » سدى دون ان ينصب لهم ولياً مرشداً يكشف لهم عن تلك الكنوز ، ويبيث فيهم تلك النعالي المصالحة المصلحة والارشادات

الحكيمة ، فكانت اوصياؤه وابناؤه هم حملة تلك العلوم وامناء الله في أرضه على مكنون علمه وغامض سره ، ولا غرابة فقد اخذوا ذلك عن جدتهم النبي « ص » عن جبرئيل (ع) عن الله تعالى .

ولقد ظهر في الناس من تعاليمهم وإرشاداتهم ما دل على كامل معرفتهم وتعام اطلاعهم على مختلف العلوم لاسيم علم الطب ، حتى جمع غير واحد من العلماء جملة من اقوالهم فالفها كتباً قيمة باسم طب النبي ، وطب الأئمة وطب الرضا ، الى غيرها مما ملأت الكتب وتواترت به الاحاديث الصحيحة وفي مقدمتها - الرسالة الذهبية أو المذهبة - التي ألفها الامام ، علي بن موسى الرضا (ع) ، يطلب المأمون الخليفة العباسي منه (١) وفيها فوائد حجة من قواعد الطب وأصول الصحة ، وقد امر المأمون ان تكتب بالذهب ولذلك سميت بالذهبية أو المذهبة ، ولم يكن للخليفة عنها غنى رجال الفن المتصلين به ، نظراء حنا بن مسويه ، وجبرائيل ابن بختيشوع ، وصالح بن سلمة الهندي وغيرهم من اطباء البلاط العباسي (٢) .

أما الامام الصادق (ع) فقد كان عصره عصر ابتداء النهضة العلمية في الجزيرة حيث اتجهت الافكار نحو طلب العلوم واقبل الناس على اكتساب المعارف . وكان الوقت ملائماً والظروف مساعدة له على بث مالهديه من تلك الكنوز القرآنية الموروثة ، لذلك فقد ظهر من اقواله الحكيمة وآرائه الطبية الصائبة واحاديثه العلمية والدينية الصحيحة ، ما طبق الارزاء وأنار القلوب المظلمة وهدى النفوس التائهة ، حتى قصده القاضي والداني ، بين مستشف

(١) تذكر برمتها في بحار الانوار ج ١٤ ص ٥٥٤ - ٥٦٧

(٢) وقد شرح هذا الكتاب وعلق عليه وحققه الدكتور صاحب زيني النجفي باسم طب الرضا في سلسلة (ملتقى العصرين) التي كانت تصدر في الكاظمية

بواسطة ارشاداته القيمة ومعترف من منبهه العلمي العذب المير .
ولأجل ذلك فقد روت عنه الرواة ، وكتبت عنه الكتب والرسائل
وتخرج عليه طائفة من العلماء والحكماء وجمهرة من جهازة الدين وكثير من
أكابر الحفاظ والمحدثين ، حتى أصبح قوله (ع) فصل الخطاب فإذا قيل قال
الصادق وقعت العلماء دون قوله واجمين ، وبما ورد عنه معترفين ، وله خاضعين
وها نحن الآن نقدم اليك ما يخص موضوعنا هذا مما ورد عنه (ع) في
علم الطب خاصة بيد أن طلبنا للاختصار في هذه الرسالة جعلنا نكتفي بالزبر
القليل من وافر علمه وجزيل فضله لعدم إمكان الاطاعة الكاملة في هذا المختصر
كما أن من المستحسن أيضاً قبل الشروع في البحث أن نذكر للقاريء
الكريم ما يلزم ذكره ههنا لكي لا يغفل طالب الحقيقة فيزول أو يقترب بأقوال
بعض ذوي الأغراض الخسيسة فيضن ، من أن الامام ابا عبد الله الصادق (ع)
أخذ هذه العلوم ممن ورد الجزيرة من علماء الأجانب فلاسفة واطباء وغيرهم
إذ من البديهي المسلم كما سنثبت لك أن معرفته (ع) لم تكن إلا قبساً من
اشعة علم النبي (ص) الذي اخذه عن الوحي - إذ انه لا ينطق عن الهوى
ان هو الا وحي يوحى - ثم استودع ذلك وصيه الذي قال فيه : أنا مدينة
العلم وعلي بابها (١) وان وصيه هذا هو الذي قال : سلوني قبل ان تفقدوني
ولن تسألوا بعدي مثلي (٢) . ثم استودعه علي (ع) ولديه الحسن والحسين
عليهما السلام الذين قال النبي فيهما : هذان امامان قاما أو قعدا (٣) ثم كان
ذلك العلم الآلهي لدى الامام السجاد (ع) ومنه لدى الامام الباقر (ع)
ثم ورثه الامام الباقر ولده الامام ابا عبد الله الصادق جعفر بن محمد (ع)

« ١ » الغدير للأميني ج ٦ ص ٥٤ . « ٢ » الغدير للأميني ج ٦ ص ١٧٨

« ٣ » حديث متفق عليه لدى الفريقين .

إذا فهذه العظمة العلمية في شخصية الامام الصادق «ع» لم تكن الا سرّاً من أسرار الكتاب ونوراً من انوار النبوة وفيضاً من فيوضات الامامة لا غير ولو كانت مكتسبة لظهر من اساتذته ومعلميه «كما زعم الجاهلون» بعض ما ظهر منه مما ملأ المكتب وفاضت به الاخبار والاحاديث .

ثم دع ما تقدم وتأمل منصفاً ثم النظر في أقواله وتعاليمه بعين طالب الحقيقة فهل تجد لكل من ورد الجزيرة آنذاك من اطباء وحكماء وفلاسفة اطلاقاً على آرائه وأقواله او إدراكاً لما أبانه وظهره مما لم يدركه العلم في ذلك العصر ولم يقف العالم على مغزاه ومرماه إلا بعد قرون متطاولة واجيال متعاقبة .

وبعد أن مخضتهم التجارب العملية وأرشدتهم الاكتشافات العلمية إلى معرفة ذلك والآن اذكر لك بعض مناظراته الطبية لأثبت صحة دعوانا في طب الامام (ع) ولتحكم على نفسك بنفسك ، وإليك بعضها .

مناظرة الامام (ع) مع الطبيب الهنزي (١)

عن محمد بن ابراهيم الطالقاني عن الحسن بن علي العدوي عن عباد بن صهيب عن أبيه عن جده عن الربيع صاحب المنصور قال : حضر ابو عبد الله عليه السلام مجلس المنصور يوماً وعنده رجل من الهند يقرأ عليه كتب الطب فجعل ابو عبد الله «ع» ينصت لقراءته فلما فرغ الهندي قال له يا أبا عبد الله ، أتريد مما معي شيئاً ؟ قال لا فإن معي ما هو خير مما معك قال وما هو ؟ قال «ع» : أدوي الحار بالبارد ، والبارد بالحار ، والرطب باليابس ، واليابس بالرطب ، وأرد الامر كله الى الله عز وجل ، واستعمل ما قاله رسول «١» بحار الانوار ج ١٤ ص ٤٧٨ وفي كشف الاخطار (مخطوط).

الله (ص) : واعلم ان المعدة بيت الداء وان الحمية راس كل دواء واعود
البدن ما اعتاده ، فقال الهندي : وهل الطب إلا هذا . فقال الصادق « ع »
أراني من كتب الطب أخذت ، قال نعم . قال (ع) لا والله ما أخذت إلا
عن الله سبحانه ، فاخبرني ، أنا أعلم بالطب أم أنت ؟ قال الهندي : بل أنا
قال الصادق (ع) : فاسألك شيئاً قال سل ، قال الصادق (ع) اخبرني يا هندي .

لم كان في الرأس شؤون ؟ قال : لا أعلم
فلم جعل الشعر عليه من فوق ؟ قال : لا أعلم
فلم خلت الجبهة من الشعر ؟ قال : لا أعلم
قال (ع) : فلم كان لها تخطيط وأساير ؟ قال : لا أعلم
فلم كان الحاجبان فوق العينين ؟ قال لا أعلم
فلم جعلت العينان كاللوزتين ؟ قال لا أعلم
فلم جعل الأنف فيما بينهما ؟ قال لا أعلم
فلم كان ثقب الأنف في أسفله ؟ قال : لا أعلم
فلم جعلت الشفة والشارب فوق الفم ؟ قال : لا أعلم
فلم أحد السن وعرض الضرس وطال الناب ؟ قال : لا أعلم
فلم جعلت اللحية للرجال ؟ قال : لا أعلم
فلم خلت الكفان من الشعر ؟ قال : لا أعلم
فلم خلا الظفر والشعر من الحياة ؟ قال : لا أعلم
فلم كان القلب كحجب الصنوبر ؟ قال : لا أعلم
فلم كانت الرئة قطعتين وجعلت حركتها في موضعها ؟ قال : لا أعلم
فلم كانت الكبد حذاء ؟ قال : لا أعلم
فلم كانت الكلية كحجب اللوية ؟ قال : لا أعلم

فلم جعل طبي الركبة إلى خلف ؟ قال . لا أعلم
فلم انحصرت القدم ؟ قال . لا أعلم
قال الصادق « ع » . لكنني أعلم ، قال الهندي فأجب
قال الصادق (ع) . كان في الرأس شؤن لان المجوف إذا كان بلا
فصل أسرع إليه الصدا ع فاذا جعل ذا فصول كان الصدا ع منه أبعد .
وجعل الشعر من فوقه ليوصل بوصوله الادهان إلى الدماغ ويخرج
باطرافه البخار منه ويرد الحر والبرد عنه .
وخلت الجهة من الشعر لانها مصب النور إلى العينين .
وجعل فيها التخطيط والأسارير ليحتبس العرق الوارد من الرأس إلى
العين قدر ما يغطيه الانسان عن نفسه كالأنهار في الأرض التي تجبس المياه
وجعل الحاجبان من فوق العينين ليردا عليهما من النور قدر الكفاية ألا
ترى ياهندي أن من غلبه النور جعل يده على عينيه ليرد عليهما قدر كفايتهما منه
وجعل الأنف بينهما ليقسم النور قسمين إلى كل عين سواء .
وكانت العين كاللوزة ليجري فيها الميل بالدواء ويخرج منها الداء ولو
كانت مربعة أو مدورة ما جرى فيها الميل ولا وصل اليها دواء ولا خرج منها داء .
وجعل ثقب الأنف في أسفله لتنزل منه الأدوية المنحدرة من الدماغ
وتضعف فيه الروائح إلى المشام ، ولو كان في اعلاه لما نزل منه داء ولا وجد رائحة
وجعل الشارب والشفة فوق الفم لحبس ما ينزل من الدماغ عن الفم لأن
لا يتعفن فينغص على الانسان طعامه وشرابه فيميطه عن نفسه .
وجعلت اللحية للرجال ليستغني بها عن الكشف في المنظر ويعلم بها
الذكر من الأنثى .
وجعل السن حاداً لأن به يقع العض .

وجعل الضرس عريضاً لأن به يقع الطحن والمضغ .
 وكان الناب طويلاً ليسند الأضراس والأسنان كالأسطوانة في البناء .
 وخلا الكفان من الشعر لأن بهما يقع اللبس فلو كان فيهما شعر ماردى
 الإنسان ما يقابله ويأصسه .

وخلا الشعر والظفر من الحياة لأن طولهما سمج يقبض وقصهما حسن
 فلو كان فيهما حياة لألم الإنسان قصهما .

وكان القلب كحب الصنوبر لانه منكس ، فجعل رأسه دقيقاً ليدخل
 في الرئة فيتروح عنه بردها ولئلا يشيط الدماغ بحره .

وجعلت الرئة قطعتين ليدخل القلب بين مضاعطها فيتروح بحركتها
 وكانت الكبد حذاء لتثقل المعدة وتقع جميعها عليها فتعصرها ليخرج ما فيها
 من البخار .

وجعلت الكلية كحب اللوبيا لان عليها مصب مني نقطة بعد نقطة فلو
 كانت مربعة أو مدورة لاحتبست النقطة الاولى إلى الثانية فلا يلتذ بمخروجها
 إذ المني ينزل من فقار الظهر الى الكلية وهي تنقبض وتنسبط وترميه أولاً
 فأولا إلى المثانة كالبنديقة من القوس .

وجعل طي الركبة إلى خلف لان الانسان يمشي إلى ما بين يديه فتعتدل
 الحركات ولولا ذلك لسقط في المشي .

وجعلت القدم متخصرة لان المشي إذا وقع على الأرض جميعه ثقل
 ثقل حجر الرحى .

فقال الهندي : من اين لك هذا العلم ؟ فقال (ع) : اخذته عن آبائي
 عليهم السلام عن رسول الله (ص) عن جبرائيل (ع) عن رب العالمين جل
 جلاله الذي خلق الاجساد والارواح .

فقال الهندي : صدقت وانا أشهد أن لا إله إلا الله وان محمداً رسول الله وعبداه وانك أعلم أهل زمانك . انتهى .

سؤال النصارى منه عن تعداد عظام الانسان (١)

في المناقب لابن شهر آشوب . عن سالم بن الضير ان نصرايياً سأل الصادق (ع) عن أسرار الطب ثم سأله عن تفصيل الجسم فقال (ع) . إن الله خلق الانسان على اثني عشر وصلاً ، وعلى مائتين وثمانية واربعين عظاماً وعلى ثلاثمائة وستين عرقاً ، فالعروق هي التي تسقى الجسد كله ، والعظام تمسكه واللحم يمسك العظام ، والعصب يمسك اللحم ، وجعل في يديه اثنتين وثمانين عظاماً في كل يد احدى واربعون عظاماً ، منها في كفه خمسة وثلاثون عظاماً وفي ساعده اثنان وفي عضده واحد وفي كتفه ثلاثة ، فذلك احدى واربعون وكذلك في الاخرى ، وفي رجله ثلاثة واربعون عظاماً منها في قدمه خمسة وثلاثون عظاماً ، وفي ساقه اثنان وفي ركبته ثلاثة وفي نخذه واحد وفي وركه اثنان وكذلك في الاخرى ، وفي صلبه ثمانين عظاماً فقارة ، وفي كل واحد من جنبه تسعة اضلاع ، وفي وقصته (٢) ثمانية ، وفي رأسه ستة وثلاثون عظاماً ، وفي فمه ثمانين وعشرون أو اثنان وثلاثون عظاماً .

أقول . المراد بالوصل هو الاعضاء العظيمة المتصلة بعضها ببعض وهي اثنا عشر الرأس والعنق والعضدين والساعدين والفخذين والساقين والاضلاع اليمين والاضلاع اليسار .

ولعمري ان هذا الحصر والتعداد هو عين ما ذكره المشرحون في هذا العصر لم يزيدها ولم ينقصوها اللهم إلا في التسمية أو جعل الاثني لاتصالها

(١) بحار الأنوار ج ١٤ ص ٤٨٠ . (٢) الوقصة العنق .

واحداً أو بالعكس وهذا مما يدلنا على اطلاعه الكامل بالتشريح ونظره الثاقب في بيان تفصيل الهيكل العظمي في بدن الانسان .

وهاك أيضاً بعض اسرار الطبعة العجيبة التي لم يكشفها علم الطب إلا بعد ان كملت العقلية البشرية ، ولم يعرفها الاطباء ذووا الافكار الجبارة إلا بعد التجارب والتحقيق والتتقيب العامي الكثير . فمنها :

الروحة الرموية :

جاء في كتاب (توحيد المفضل) ، وهو جملة محاضرات القاها الامام (ع) على تلميذه (المفضل بن عمر) في اثبات التوحيد ، من المسائل الطبية الجليلة ما لم يحلم بها الاطباء في ذلك العصر ، ولم يدركوها الا بعد اثني عشر قرناً عندما ظهر الاستاذ الدكتور (هارفي) الطبيب الشهير المعروف لدى الاطباء (بمكتشف الدورة الدموية) واكتشف ذلك الاكتشاف الذي اقتخر به الغرب حتى جعله من معجزات عصر الاختراعات والذي قلب الطب ظهر أعلى عقب وهو في الحقيقة ، ولدى التأمل المنصف ، اكتشاف كان قد ذكره الامام الصادق عليه السلام ، في طبي كلامه مع المفضل ، فلو نظرت اليه وتأملتة لعامت علم اليقين ، ان هذا المكتشف العظيم لم يأت بشيء جديد ، ولم يكن الا عيالا على ما قاله ابو عبد الله الصادق (ع) قبل قرون عديدة . تأمل قوله (ع) حيث يقول :

فكر يا مفضل في وصول الغذاء الى البدن ، وما فيه من التدبير ، فان الطعام يصير الى المعدة فتطبخه ، وتبعث بصفوه الى الكبد ، في عروق رقاق واشجة بينهما ، قد جعلت كالمصفي للغذاء ، لكيلا يصل الى الكبد منه شيء فيسكأها وذلك ان الكبد رقيقة لا تحمل العنف ، ثم ان الكبد تقبله ،

فيستحيل فيها بلطف التدبير دماً ، فينفذ في البدن كله في مجار مهيأة لذلك بمنزلة المجاري التي تهيأ للعاء حتى يطرد في الارض كلها ، وينفذ ما يخرج منه من الخبث والفضول الى مغايض اعدت لذلك ، فما كان منه من جنس المرة الصفراء جرى الى المرارة ، وما كان من جنس السوداء جرى الى الطحال ، وما كان من جنس البلة والرطوبة جرى الى المثانة ، فتأمل حكمة التدبير في تركيب البدن ، ووضع هذه الاعضاء منه مواضعها ، واعداد هذه الاوعية فيه لتحمل تلك الفضول ، لئلا تنتشر في البدن فتسقمه وتشهكه ، فتبارك من احسن التقدير واحكم التدبير . انتهى « ١ »

أقول : هكذا ورد عنه (ع) وهو صريح في بيان كيفية الدورة الدموية على حسب ما وصل اليه الطب الحديث بعد ما يناهز الاثنى عشر قرناً مضافاً الى ما لوح فيه الى وظائف الجهاز الهضمي ، والجهاز البولي ، والى وظيفة المرارة والطحال والكبد والمثانة ، كما انه (ع) أشار أيضاً بقوله :

﴿ لئلا ينتشر في البدن فيسقمه ويشهكه ﴾ . الى ما اثبتته طب القرن العشرين من التسمم البولي الحاصل من رجوع البول من المثانة الى الدم عندما لم يخرج منها فينتشر بواسطة الدم في جميع أعضاء البدن فيسقمه ويسقمه ، والى التسمم المعدي الحاصل من تعفن الفضلات المعدية غير المندفعة منها والتي تحدث برجوعها متعفنة الى البدن التهابات توجب تسممه وانتهاكه فتأمل .

كيفية السمع والبصر :

لقد ثبت في علم الطب الحديث ، وأصبح من البديهي لدى نطس الاطباء بعد التجارب والبحث العلمي في كيفية السمع : أن بين منبع الصوت والاذن

السامعة توجد على الدوام مسافة ولاجل أن يدرك الصوت يحتاج الى أن يكون بينهما وسط ذو مرونة ، وهذا الوسط المرن هو الهواء بوجه عام ، فإذا لم يكن هذا الوسط المرن بين السمع والمسموع لم يدرك الصوت ، ولذلك فلا يسمع صوت في الخلاء (أي في الموضع الخالي من الهواء) البتة .

كما أجمعوا أيضاً : على أن البرئيات مطلقاً لا ترى ما لم يشع عليها ضوء خارج عنها كضوء الشمس أو نور القمر ، أو ضوء المصباح ، أو نور النجوم وأشباهاها فان هذه الاشعة المنعكسة من أي مرئي كانت تدخل في العين من القرنية الشفافة وتمر بالحدقة بالبوؤ ثم تسقط على الشبكية وترسم عليها صورة المرئي . إذاً فلا سماع الا بالهواء ولا رؤية الا بالضياء حسب العلم الحديث وهذا القول الناتج بعد البحث والتنقيب من قبل علماء وفطاحل وبتجارب كثيرة طيلة اعوام واجيال ، هو بلا ريب جاء مطابقاً لقول الامام الصادق عليه السلام بل هو عين ما ذكره قبل مدة غير قصيرة أي قبل الف ومائتي عام ، وذلك حيث يقول عليه السلام (١) .

انظر الآن يا مفضل الى هذه الحواس التي خص بها الانسان في خلقه وشرف بها على غيره (إلى أن يقول) فجعل الحواس خمساً تلقى خمساً لكي لا يفوتها شيء من المحسوسات ، فخلق البصر ليدرك الالوان ، فلو كانت الالوان ولم يكن بصر يدركها لم يكن فيها منفعة ، وخلق السمع ليدرك الأصوات فلو كانت الاصوات ولم يكن سمع يدركها لم يكن فيها ارب وكذلك سائر الحواس ثم هذا يرجع متكافئاً فلو كان بصر ولم تكن ألوان لما كان للبصر معنى ، ولو كان سمع ولم تكن أصوات لم يكن للسمع موضع ، فانظر كيف قدر بعضها يلقي بعضها ، فجعل لكل حاسة محسوساً يعمل فيه ، ولكل محسوس

حاسة تدركه ، ومع هذا فقد جعلت اشياء متوسطة بين الحواس والمحسوسات لا يتم الحس الا بها ، كمثل الضياء والهواء فانه لو لم يكن ضياء يظهر اللون للبصر ، لم يكن البصر يدرك اللون ، ولو لم يكن هواء يؤدي الصوت الى السمع لم يكن السمع يدرك الصوت . الخ فتأمل وانصف وجدانك اهل جاء الطب الحديث بغير ما ذكره الامام (ع) المفضل في محاضرته القيمة بصورة سهلة وعبارة واضحة .

واليك نظرية طبية مائة ذكرها الامام الصادق (ع) قبل اكتشاف العلم الحديث لها في القرن التاسع عشر الميلادي وهي حصول العدوى من السقيم الى المبيض بواسطة الجراثيم كما سندكره لك .

العدوى والجراثيم :

قال الامام جعفر بن محمد الصادق (ع) **﴿١﴾** لا يكلم الرجل مجذوماً الا أن يكون بينهما قدر ذراع ، وفي لفظ آخر قدر رمح .

وهذا من اوضح الدلالات على وجود العدوى في الاسلام وانها تكون بواسطة الجراثيم وقد اثبت علم الطب الحديث باكتشاف علماء **﴿البكتريولوجيا﴾** اجماعاً ، ان ميكروب الجذام يندر وجوده في الهواء حول المصاب اكثر من بعد مسافة متر أو متر ونصف وربما كان كذلك في الساولين ، وهو قول يطابق قول الامام **﴿ع﴾** ، ولا غراب في معرفة الامام **﴿ع﴾** بهذا وامثاله بعد ان كان من الراسخين في العلم ومن الذين اختارهم الله لسره ، واطلهم على غامض علمه ، وبعد أن ورد عن النبي **﴿ص﴾** قوله : **﴿فر من المجذوم فرارك من الاسد﴾** ٢ . وقوله **﴿ص﴾** : لا تدخلوا بلداً يكون فيه

الوباء « ١ » ، وقوله « ص » : لا يوردن مرض على مصحح (٢) الى غيرها من الاحاديث الدالة على ذلك .

إذاً فالاسلام مثبت على هذا وجود الجرائم المرضية وعدواها ، وانها موجودة في جسم المصاب ، قبل أن يكتشفها الدكتور الافرنسي «دافين» في سنة ١٨٥٠ م ، وقبل أن يشاهدها بمجهزه الاستاذ الدكتور «باستور» في اواخر القرن التاسع عشر .

هذا مضاف الى أن العقل ايضاً يحكم بوجودها في الامراض السارية المعدية ذلك لان المرض لم يكن في الاجسام الا عرضاً وارداً عليها ، ومن المسلم ان العرض لا يمكن أن يقوم بذاته في الخارج دون ان يعرض على جسم آخر يقوم به ، فاذا قيل انتقل المرض فعناه ، ان الجسم الحاصل له هو المنتقل به ، وليس الميكروب ، الا هذا الجسم الناقل ، ولم يرد النهي عن دخول البلد التي فيها الوباء أو الأمر بالفرار من المجذوم او عدم ورود المرض على المصحح الى غير ذلك الا لعدم انتقال هذا الجسم الحامل للمرض « الجرائم » من جسم السقيم الى جسم السليم ، وليست العدوى الا هذا .

بقي هنا ان ننظر الى ما أخرجه رواية الحديث من الفريقين باسناد صحيحة عن رسول الله «ص» من قوله «ص» : لا عدوى ولا طيرة « ٣ » الى غيره بالفاض اخر فهو يؤل باحد معنيين :

الاول : ان دين الاسلام جاء بنواميس وطقوس تمنع من الملام أي من الالوباء الموجبة للعدوى ، فقد نهى عن أقسام الفجور المستتبعة للامراض السارية ، كما جاء باصول الصحة جمعاء فنهى مثلاً عن الاكل قبل الجوع

(١) مجمع البحرين في باب عدى وصحيح مسلم ج ٢ ص ٢٥٨ .

(٢) صحيح مسلم ج ٢ ص ٢٥٨ (٣) صحيح مسلم ج ٢ ص ٢٥٩

والكف قبل الشبع ، مما يمنع السدود ، وفساد الاخلاط ، والتخمة التي هي من امهات الامراض ، الى غير ذلك مما يضيق به هذا المختصر ، ثم حرم الاشياء الضارة كلها ، كما اثبت الطب اضرار استعمالها بعد التجارب العامة الكثيرة فتمى التزم المسلم بها ، اي بتلك الآداب والسنن والاحكام والتعاليم ، فانه لا يكاد يجد لأي مرض المأمأ به مما يستتبع العدوى ، عدا طوائف تتكيف بها النفس من حر أو برد وامثالها مما لا عدوى فيها .

وهذا المعنى يناسب نفي الذات الظاهر في الحديث .

الثاني : ان الاسلام حصر كلية التأثير في الأجزاء البكونية بالمبدأ الاقدس سبحانه وتعالى فلا يرى المسلم المعتنق لهذا الدين الخفيف ، ان تلك الامراض تستلزم العدوى بانفسها لا محالة (كما هو مزعمة الجاهلية) وانما يعتقد ان ذلك التأثير ممدود من المبدأ الحق سبحانه ، وهذا هو المقصود ﴿ بالطيرة ﴾ وان ما يتطير به غير مستقل بالتأثير ، ولا يكون الا ما شاء الله فاذا اعتقد الانسان ذلك اكتسح عنه الاضطراب بما تطير به ، لانه أمر مردد بين مقدر وغير مقدر ، والاول (المقدر) لا ندحجة له ، والثاني ﴿ غير المقدر ﴾ لا يصيبه البتة ، وربما ينفي عنه بهذا الاعتقاد اصل التطير ، فلا يتطير بعد ، ومن هنا كان (ص) يقول : ان الذي انزل الداء انزل الدواء (١) قال الطيبي (٢) : لا التي لنفي الجنس دخلت على المذكورات ، ونفت ذواتها وهي غير منفية فيوجه النفي الى اوصافها واحوالها ، التي هي مخالفة الشرع ، فان العدوى ، والصفر ، والهامة ، موجودة ، والنفي ما زعمت الجاهلية لا

(١) كشف الاخطار المخطوطة .

(٢) بكسر الطاء والياء الحقيقية ، هو الحسن بن محمد بن عبد الله المحدث

المفسر المتوفى سنة ٧٤٣ هـ كما في السكتي واللقاب للقمي ص ٤١١ .

إثباتها ، فإن نفي الذات لأرادة الصفات ابلغ في باب الكناية . انتهى .
وهناك معارف أخرى للحديث ، يتأتى بها الوفاق بينه وبين ما مر ،
اقتصرنا على ما ذكرنا روماً للاختصار .

والآن وبعد ذكرنا للجراثيم ، ناسب ان نذكر لك نبذة قصيرة عن
تاريخها وأثرها في الأجسام ، وكيفية ورود العدوى بواسطتها ، حسب
الطب الحديث ، إتماماً للفائدة ، وايضاها للبحث .

الجراثيم ومجمل تاريخها :

الجراثيم « الميكروبات » جمع جرثومة (ميكروب) ومعنى كلمة ميكروب
هو (الحي الدقيق) وقد وضع هذا الاسم لهذا الحي رجل يدعى (سيدلوت)
سنة ١٨٧٨ م . اما العلم الذي يبحث عنها وعن أنواعها وآثارها فيسمى
(علم البكتريولوجيا) وهو لفظ يوناني مأخوذ من تركيب لفظة (بكتريا)
بمعنى العصي جمع عصا ، وذلك لان شكل الكثير منها مستقيم كالعصا ولفظة
(لوجيا) بمعنى العلم . اما المؤسس لهذا العلم فهو الاستاذ (لويس باستور)
الافرنسي المتولد سنة ١٨٢٢ م والمتوفي سنة ١٨٩٥ م .

واشهر من نبغ فيه بعده الاستاذ الدكتور (روبرت كوخ) الألماني مكتشف
ميكروب الدرن الرئوي في السل والمتولد سنة ١٨٤٣ م والمتوفي سنة ١٩١٠ م
وغير خفي ان الذي هدى الناس إلى معرفة هذه الاحياء الدقيقة (غير
المريئة بالعين) هو المجهر (الميكروسكوب) الذي اخترع سنة ١٥٩٠ م قبل
تأسيس هذا العلم بمدة طويلة .

وللجراثيم أشكال ثلاثة على الاغلب ١ — الشكل الباسيلي أي المستطيل
٢ — البزور وهي التي ترى كمنقطة صغيرة ، قد يلتقي بعضها ببعض فتتكون

منها خيوط تسمى (الزور السلسلية) وقد تجتمع مثنى وثلاث ورباع وقد تتكون باجتماعها على شكل الكلية ، أو على شكل عنقود فتسمى (الكلية) (بتشديد الياء) أو العنقودية الى غير ذلك .

٣ — الشكل الحزوني ، وهو جراثيم مستطيلة ملتوية على نفسها كالثعبان أو كحركة الضمة ، أو الشولة . ولذلك احياناً (الباسيل الضمي) . وقد يكون لقسم منها اهداب في اطرافه .

وهذه الجراثيم تنمو وتتوالد باحدى طريقتين :

- ١ — اما بانقسامها عرضاً الى قسمين ، وكل قسم منها الى قسمين أيضاً وهلم جرا .
- ٢ — واما بتولد جيبية في داخل الجرثومة تنفلق عنها ، ثم تنمو هذه الجيبية فتكون جرثومة ، وهكذا بكل سرعة .

ويحدث ضررها بنموها في السائل الذي تتربى فيه ، وبافرازها فيه مواداً نفتك في البدن فتكا ذريعاً مهما كانت قليلة أو ضعيفة .

اما طريق العدوى بها ، وبعبارة أوضح طريق دخول الجراثيم الى الجسم ، فلذلك ابواب كثيرة ، أهمها أربعة .

- ١ — الرئتان ٢ — الجهاز الهضمي ٣ — الجلد ٤ — الأغشية المخاطية
- كاعضاء التناسل والعين مثلاً ، ولا يلزم ان يكون سطح الجسم أو الأغشية المخاطية مجروحة ، لكي يدخل ذلك الميكروب من الجرح ، بل قد يدخل من الأماكن ذات النسيج الرقيق من الجلد ، أو من مسامها ، ولكن الجرح يسهل الدخول أما مصادر خروج الميكروب ، أي الأشياء التي تحمل الجراثيم وتتصل بالبدن ثم تنقلها اليه ، فهي :

- ١ — الهواء ٢ — الطعام ٣ — الشراب ٤ — التراب ٥ — ما يلامس
- جلد المصاب من الاجسام الخارجية كالملابس والاواني وامثالها .

ولقائل ان يقول : كيف توجد العدوى ، ونرى بالحس والوجدان ان ليس كل انسان ، أتصل به ميكروب مرض معدي ، أصيب به ، فكم من متعرض لذلك ينجو ، وكم من متوق محتاط يصاب بأسرع من غيره ، إذا فما معنى العدوى وهل تلك الاصابة الا صدفة ، كما اتفقت للمريض الاول فنقول : لا لوم عليك اذا ما تصورت ذلك فانكرت العدوى فان الظاهر كما زعمت ، ولكن قد غاب عنك ، ان الاطباء والعلماء قد اتفقوا بلا خلاف على ان أثر العدوى بالجراثيم المرضية ، وسرايتها في السليم ، متوقعة على شروط ، ان لم تحصل ، لا يحصل أثر العدوى البتة ، وهي :

أولاً - القابلية : ومعناها ان يوجد في الميكروبات ما يحصل به نموها مثل ضعف السكريات البيض في دم السليم ، التي هي بمنزلة الجنود المدافعة عن البدن ، والمسكفة باقتناص ما يرد اليه من الجراثيم المرضية الفتاكة وردعها عنه بكل قواها ، فاذا ضعفت هذه السكريات في الدم ، اصبح البدن مستعداً الى قبول الجراثيم ، غير مدافع فتكها .

ثانياً - الفاعلية : ومعناها ان تحصل تلك الجرثومة في بيئة أو وسط ملائم لنموها ، مساعدين لها على مكثها وتفرخها .

ثالثاً - حصول الوقت الكافي لتأثيرها في البدن .

فاذا حصلت هذه الشروط الثلاثة ، وحصل الناقل لها كالهواء أو الطعام أو الشراب أو غيرها ، حصلت العدوى والا فلا عدوى .

ثم ان هناك أيضاً امراً آخر ، لا بد من ملاحظته ، وذلك ان الامراض المعدية ادواراً ثلاثة (١) دور الابتداء (٢) دور التوقف (٣) دور الانحطاط .

وهي أي الامراض منها ما يعدي في كل ادوارها ، ومنها ما يعدي في دور الابتداء فقط ، ومنها ما يعدي في دور الانحطاط . اداً فلا تحصل العدوى مطلقاً

ويتلخص من هذه المقدمة : ان المرض المعدي ، لا تحصل منه العدوى الا اذا كان في دوره المعدي ، مع حصول القابلية ، والفاعلية من الميكروب نفسه مع حصول الوقت الكافي لتموه ، مع مساعدة البيئة أو الوسط مع ضعف المناعة في بدن السليم (أي ضعف الكريات البيضاء) اما بغير ذلك فلا عدوى قال ابن سينا : ليس كل سبب يصل الى البدن يفعل فيه . بل قد يحتاج مع ذلك الى أمور ثلاثة (١) الى قوة من قوته الفاعلة (٢) وقوة من قوة البدن الاستعدادية (٣) وتمكن من ملاقاته أحدهما للآخر بزمان في مثله يصدر ذلك الفعل عنه ، وقد تختلف أحوال الأسباب عند موجباتها فربما كان السبب واحداً . واقتضى في ابدان شتى أمراضاً شتى . او في اوقات شتى امراضاً شتى او قد يختلف فعله في الضعيف والقوي . وفي شديد الحس وضعيفه انتهى وهنا في المناسب أيضاً ان تعلم ان للأمراض المعدية أسباباً مهيئة أخرى وهي قسمان . مادية . ومعنوية . وبعبارة أوضح . ظاهرة وكامنة .

أما الظاهرة (المادية) فهي مثل فساد الهواء ، وفساد الماء ، والابخرة الردية (المتعفنة) والاماكن الرطبة ، وكثيرة السكان ، وقليلة النور ، وشدة الحرارة والبرودة ، وفساد الطعام ، والمستنقعات ، والحروب ، وشرب الخمر وارتكاب المعاصي ، الى غير ذلك مما تجعل الجسم مستعداً لقبول العدوى . واما الكامنة (المعنوية) فمثل الوراثة ، والسن ، والجنس ، والازاج الضعيف ، والجوع والتعب المفرطين ، وقد يكون منها ، الغضب والوهم ، والهلم ، والنغم والحزن والرعب والخوف والعشق وغيرها .

فان الاحداث ، والاسباب النفسية كثيراً ما تؤثر في حدوث الامراض أو تطورها . وبالاخير انها القوى التي تجعل الجسم عرضة لكل عدوى . قال جالينوس : الغضب يلهب الامرجة الصفراوية والحارة فيهيء الجسم

للحميات الحادة كالحمى العفوية اللازمة . والغم والحزن يفسدان الدم فيكونان
علة للحمى التيفوئيدية ، والفزع والرعب يحدثان احيا نأرقة الدم . وفقد الكريات
الدموية فيكونان سبباً للتيفوس واشباهها (انتهى) مضمون كلام جالينوس
هذه نبذة وحيزة عن الميكروبات ذكرناها ليتضح لك جيداً ويبدو لك
جلياً معنى قول الامام الصادق عليه السلام : لا يكلم الرجل مجذوما الا وان
يكون بينها قدر ذراع . وبلغظ آخر قدر رمح . فتأمل في قوله (ع) هذا
كيف اشار بكلماته القصار الى خلاصة ما اكتشفه علم القرن التاسع عشر من
الاسرار العجيبة التي افتخر بها كانه جاء بشيء جديد وقد أبان عنه الامام
(ع) قبل ١٤ قرناً .

هريث الـهليلج (١)

ان هذا الحديث الجليل والكتاب الشريف الذي كتبه الامام الصادق (ع)
الى تلميذه الفضل بن عمر الجعفي في اثبات الوجدانية لحديث طويل لا يسعه
هذا المختصر ولكننا قد اقتطفنا منه جزءاً يسيراً مما هو محل شاهدنا للاستدلال
على كامل معرفته (ع) بالعقاقير ومنافعها واضرارها وانواعها ومنابتها وطرق
استعمالها بما لم يعرفها أطباء عصره ولم يدركها ذوو الفن من المشتغلين بها على
انه (ع) كان قد ذكرها طي كلامه عن التوحيد ولم يقصد بيانها مفصلاً
وهذا مما يوضح ليكل منصف عارف ما لدى الامام (ع) من العلم الكامل
بهذا الفن عاملاً اخذه عن اجداده عن النبي (ص) بالوراثة لا عن تعليم معلم
او تدريس أستاذ . واليك ما اقتطفناه منه :

كتب الفضل بن عمر الجعفي الى ابي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه

السلام يعلمه ان اقواماً ظهوروا من اهل هذه الملة يمجدون الربوبية ويجادلون
على ذلك ويسأله ان يرد على قوله ليحتج عليهم فيما ادعوا به .
فكتب أبو عبد الله (ع) اليه :

بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد وفقنا الله واياك لطاعته وواجب لنا بذلك
رضوانه ورحمته . وصل كتابك تذكر فيه ماظهر في ملتنا وذلك من قوم من
اهل الاتحاد بالربوبية قد كثرة عندهم واشتدت خصومتهم وتسأل ان أصنع
للرد عليهم والنقض لما في ايديهم كتابا على نحو ما رددت على غيرهم من اهل
البدع والاختلاف ونحن نحمد الله على النعم السابقة والحجج البالغة والبلاء
المحمود عند الخاصة والعامة إلى ان يقول (ع) ولعمري ما أتى الجبال من
قبل ربهم وانهم ليرون الدلالات الواضحات والعلامات البينات في خلقهم
وما يعاينون في ملكوت السماوات والارض والصنع العجيب المتقن الدال على
الصانع والمكنهم قوم فتحوا على أنفسهم ابواب المعاصي وسهلوا لها سبيل
الشهوات فغلبت الاهواء على قلوبهم واستحوذ الشيطان بظلمهم عليهم
وكذلك يطبع الله على قلوب المفسدين .

وقد واغاني كتابك ورسمت لك كتابا كنت تازعت فيه بعض اهل
الاديان من اهل الأفكار وذلك انه :

كان يحضرنى طبيب من بلاد الهند وكان لا يزال ينازعي في رأيه ويجادلني
عن ضلالتة فيدما هو يوما يدق اهليلجة ليخطبها بدواء احتاج اليه من
ادويته إذ عرض له شيء من كلامه الذي لم يزل ينازعي فيه من ادعائه أن
الدنيا لم تزل ولا تزال شجرة تنبت واخرى تسقط ونفس تولد واخرى تتلف
وزعم ان انتحال المعرفة لله تعالى دعوى لا بينة لي عليها ولا حجة لي فيها
وان ذلك أمه أخذه الآخر عن الاول والا صغر عن الاكبر وان الاشياء

المختلفة والمؤتلفة والظاهرة والباطنة إنما تعرف بالحواس الخمس . فأخبرني بم
تحتج في معرفة ربك الذي تصف قدرته وربوبيته وإنما يعرف القلب الاشياء
كلها بالدلالات الخمس .

(الى آخر ما يسوقه من اعتراض الطبيب وجواب الامام (ع) من البراهين
العقلية والدلائل الحسية التي اجمعتها حتى جعلته يقر بالربوبية والوحدانية لله
تعالى . وقد عرضنا عنها كلها عدا ما هو الشاهد لنا على اثبات ما للامام
الصديق (ع) من معرفة خواص الادوية ومنافع العقاقير ومضارها في عصر
لم يدركها غيره حتى الاخصائيين بمعرفتها) .

واليك محل الشاهد من الحديث . قال الامام « ع » لذلك الطبيب :
فاعطني موثقاً اذا انا أعطيتك من قبل هذه الاهليلجة التي بيدك وما
تدعي من الطب الذي هو صناعتك وصناعة آبائك واجدادك وما يشابهها من
الادوية لتدعنن للحق ولتتصفن من نفسك . قال : ذلك لك قلت : هل كان
الناس على حال وهم لا يعرفون الطب ومنافعه من هذه الاهليلجة واشباهها ؟
قال نعم . قلت : فمن أين اهتمدوا ؟ قال بالتجربة والمقايسة قلت : فكيف خطر
على اوهاهم حتى هموا بتجربته وكيف ظنوا انه مصلحة للاجساد وهم لا
يرون فيه الا المصرة وكيف عزموا على طلب ما يعرفون بما لا تدلهم عليه
الحواس ؟ قال : بالتجربة . قلت : اخبرني عن واضع هذا الطب وواصف
هذه العقاقير المتفرقة بين المشرق والمغرب هل كان بسد من ان يكون الذي
وضع ذلك ودل على هذه العقاقير رجل حكيم من أهل هذه البلدان ؟ قال :
لا بد أن يكون كذلك وأن يكون رجلاً حكيماً وضع ذلك وجمع عليه الحكماء
فنظروا في ذلك وفكروا فيه بمقولهم . قلت : كانك تريد الانصاف من
نفسك والوفاء بما أعطيت من ميثاقتك فاعطني كيف عرف الحكميم ذلك ؟

وهبه قد عرف ما في بلاده من الدواء والزعفران الذي بارض فارس
مثلاً أتراه اتبع جميع نبات الارض فذاقه شجرة شجرة حتى ظهر على
جميع ذلك، وهل يدلك عقلك على ان رجالاً حكماء قدروا على ان
يتبعوا جميع بلاد فارس ونباتها شجرة شجرة حتى عرفوا ذلك بحواسهم
وظهروا على تلك الشجرة التي يكون فيها خلط بعض هذه الادوية التي لم
تدرك حواسهم شيئاً منها؟ وهبه أصاب تلك الشجرة بعد بحثه عنها وتتبعه
جميع بلاد فارس ونباتها، كيف عرف أنه لا يكون دواء حتى يضم اليه
الاهليج من الهند والمصطكي من الروم والمسك من تبت والدارصين من الصين
وخصي بيدستر من الترك والافيون من مصر والصبر من اليمن والبورق من
أرمينية وغير ذلك من اخلاط الادوية التي تكون من أطراف الارض
وكيف عرف ان بعض تلك الادوية وهي عقاقير مختلفة تكون المنفعة باجتماعها
ولا تكون منفعتها في الحالات بغير اجتماع، أم كيف اهتدى لمنابت
هذه الادوية وهي ألوان مختلفة وعقاقير متباينة في بلدان متفرقة فمنها عروق
ومنها لحاء ومنها ورق ومنها ثمر ومنها عصير ومنها ما يعوم ومنها صمغ ومنها دهن
ومنها ما يعصر ويطبخ ومنها ما يعصر ولا يطبخ مما سمي بلغات شتى لا يصلح
بعضها إلا ببعض ولا يصير دواء إلا باجتماعها ومنها مسائر السباع والدواب
البرية والبحرية، وأهل هذه البلدان مع ذلك متعادون مختلفون متفرون
باللغات متغالبون بالمناسبة ومتحاربون بالقتل والسبي أفترى من ذلك الحكميم
تتبع هذه البلدان حتى عرف كل لغة وطاف كل وجه وتتبع هذه العقاقير
مشرقاً ومغرباً آمناً صحيحاً لا يخاف ولا يمرض سليماً لا يعطب حياً لا يموت
هادياً لا يضل قاصداً لا يجور حافظاً لا ينسى نشيطاً لا يمل حتى عرف وقت
أزمنتها ومواضع منابتها مع اختلاطها واختلاف صفاتها وتباين ألونها وتفرق

أسمائها ثم وضع مثالها على شبهها وصفتها ثم وصف كل شجرة بنباتها وورقها
 وثمرها وريحها وطعمها ، أم هل كان لهذا الحكيم بد من أن يتتبع جميع
 أشجار الدنيا وبقولها وعروقها شجرة شجرة وورقة ورقة شيئاً فشيئاً؟ وهبه
 وقع على الشجرة التي أراد فكيف دلته حواسه على أنها تصلح للدواء والشجر
 مختلف فمنه الحلو والحامض والمر والمالح ، وإن قلت يستوصف في هذه البلدان
 ويعمل بالسؤال فأنى يسأل عما لم يعاين ولم يدركه بحواسه ، أم كيف يهتدي
 إلى من يسأله عن تلك الشجرة وهو يكلمه بغير لسانه وبغير لغته والأشياء كثيرة .
 وهبه فعل فكيف عرف منافعها ومضارها وتسكينها وتهيجها وباردها
 وحارها ومزارتها وحرافتها ولينها وشديدها فلئن قلت بالظن فإن ذلك
 لا يدرك ولا يعرف بالطبايع والحواس ، وإن قلت بالتجربة والشرب فلقد
 كان ينبغي له أن يموت في أول ما شرب وجرب تلك الأدوية بجأله بها وقلة
 معرفته بمنافعها ومضارها وأكثرها السم القاتل ، وإن قلت بل طاف في كل
 بلد وأقام في كل أمة يتعلم لغاتهم ويجرب أدويتهم بقتل الأول فالأول منهم
 ما كان لتبلغ معرفته الدواء الواحد إلا بعد قتل قوم كثير فما كان أهل تلك
 البلدان الذين قتل منهم ما قتل بتجربته بالذين ينفادون له بالقتل ولا يدعونه
 يجاورهم . وهبه تتبع هذا كله وأكثره سم قاتل إن زيد على قدره قتل وإن
 نقص عن قدره بطل . وهبه تتبع هذا كله وطاف مشارق الأرض ومغاربها
 وطال عمره فيها بتتبعه شجرة شجرة وبقعة بقعة كيف كان له تتبع ما لم يدخل
 في ذلك من مزاراة الطير والسباع ودواب البحر ، هل كان بد حيث زعمت
 أن ذلك الحكيم تتبع عقاقير الدنيا شجرة شجرة حتى جمعها كلها فمنها ما لا
 يصلح ولا يكون دواء إلا بالمرار هل كان بد من أن يتتبع جميع طير الدنيا وسباعها
 ودوابها دابة دابة وطائراً طائراً يقتلها ويجرب مزارها كما بحث في تلك

العقاقير على ما زعمت بالتجارب ولو كان ذلك فكيف بقيت الدواب وتناسلت
وليست بمنزلة الشجرة اذا قطعت شجرة نبتت اخرى . وهبسه اتي على طير
الدنيا كيف يصنع بما في البحر من الدواب التي كان ينبغي ان يتتبعها بحراً
بحراً ودابة دابة حتى احاط به كما احاط بجميع عقاقير الدنيا التي بحث عنها حتى
عرفها فانك مهما جهلت شيئاً من هذا فانك لا تجهل ان دواب البحر كلها
تحت الماء ، فهل يدلك العقل والحواس على ان هذا يدرك بالبحث والتجارب
قال لقد ضيقت علي المذاهب فما ادري بماذا احبيك .

فقلت : سأبرهن لك بغير ذلك مما هو أوضح وأبين مما اقتضت عليك
ألمست تعلم ان هذه العقاقير التي منها الادوية والمرار من الطير والسباع لا
يكون دواء إلا بعد الأجماع ؟ قال هو كذلك . قلت : فاخبرني كيف
ادركت حواس هذا الحكيم الذي وضع هذه الادوية مثاقيلها وقراريطها
فانك أعلم الناس بذلك لأن صناعتك الطب وانت قد تدخل في الدواء الواحد
من اللون الواحد وزن اربعمائة مثقال ومن الآخر ثلاثة أو اربعة مثاقيل
وقراريط فما فوق ذلك او دونه حتى يحجب بقدر واحد معلوم إذا سقيت منه
صاحب البطنة بمقدار عقد بطنه ، وان سقيت صاحب القولنج اكثر من
ذلك استطلق بطنه ، والآن فكيف ادركت حواسه على هذا ، أم كيف
عرف بحواسه ان الذي يسقى لوجع الرأس لا ينحدر إلى الرجلين والانحدار
اهون عليه من الصعود والذي يسقى لوجع القدمين لا يصعد إلى الراس وهو
اقرب منه وكذلك كل دواء يسقي صاحبه لكل عضو لا يأخذ إلا طريقه في
العروق التي تسمى له وكل ذلك يصير الى المعدة ومنها يتفرق ؟ أم كيف لا
يسفل منه ما صعد ولا يصعد منه ما انحدر ؟ أم كيف عرفت الحواس هذا
حتى علم ان الذي ينبغي للاذن لا ينفع العين ، وما تنفع به العين لا يغني عن

وجع الاذن ، وكذلك جميع الاعضاء يصير كل دواء منها إلى ذلك العضو الذي ينبغي له بعينه فكيف ادركت العقول والحواس هذا وهو غائب في الجوف والعروق واللحم وفوق الجلد لا يدرك بسمع ولا يبصر ولا يشم ولا بامس ولا بذوق ؟ قال : لقد جئت بما اعرف إلا اتنا نقول ان الحكيم الذي وضع هذه الادوية واخلطها كان إذا سقى أحداً شيئاً من هذه الادوية فمات شق بطنه وتتبع عروقه ونظر مجاري تلك الادوية وأتى المواضع التي تلك الادوية فيها . قلت فاخبرني ألسنت تعلم ان الدواء كله اذا وقع في العروق اختلط بالدم فصار شيئاً واحداً ؟ قال : بلى ، قلت : أما تعلم ان الانسان اذا خرجت نفسه برد دمه وجمد ؟ قال بلى . قلت فكيف عرف ذلك الحكيم دواءه الذي سقاه المريض بعد ان صار عبيطاً ليس بامشاج يستدل عليه بلون فيه غير لون الدم ؟ قال : لقد حملتني على مطية صعبة ما حملت على مثاها قط ولقد جئت بأشياء لا اقدر على ردها الى آخر الحديث الطويل .

فيمضي الامام عليه السلام في استدلاله على اثبات الوجدانية الربوبية من طرق اخرى مفصلة يستدرجها من حديث الاهليلجة التي هي بين يدي الطبيب الهندي ونحن لا حاجة لنا بها في موضوعنا هذا .

ولقد ظهر لنا واسكل ذي انصاف غير متكابر ما لدى الامام عليه السلام من الاطلاع الواسع والمعرفة الكاملة بخواص الادوية ومنافعها ومضارها بل وكل خاصة فيها مفردة ومركبة مع معرفة منابتها وطباعتها دون ان يسند ذلك الى معلم او طبيب اخذه مسهما بل لم يعرفه كل طبيب أو عقماري في عصره أو ليس ذلك علماً ألهامياً أو وراثياً عن سلمته الطاهرين والذين خصهم الله تعالى به دون سائر الخلق وجعلهم معدنهم ومنبعه لأنهم هم الراسخون في العلم وحاموا اعباء ارشاده وتعاونه الحكيم .

وصفاته الطيبة: (١)

ليس الامام (ع) سوى من اختاره الله بلطفه العام على العباد خلفاً عن النبي الكريم (ص) ليرجع الخلق اليه في جميع مهماتهم ، ويهرع الناس نحوه في كل حادث لا يرون منه ملجأ الا لديه ، سواء أكانت تلك المهمة روحية أم بدنية اخروية أم دنيوية ، لانه هو الكفيل بارشادهم الى صالح معادهم ومعاشرهم ، لذلك فقد كانوا يردون على الامام جعفر بن محمد الصادق (ع) من كل فجع وقطر ليسألوه عن مشكلة في الدين أو مامة في الدنيا فيجودون عنده الجواب السكافي والعلاج الشافي ، وكثيراً ما كان الوفاد تستشفي بوصفاته النافعة وتستوصفه في كل ما يعترها من الأسقام والامراض وهو يجيبهم بما يجدون به الشفاء العاجل والنفع الآجل . أجل وكيف لا يكون كذلك ، وهو طبيب النفوس والارواح وهادي الامة الى الصلاح والاصلاح وها اني اذكر لك بعض وصفاته الطيبة في علاج ما يسأل عنه من الامراض لتعلم انه عليه السلام الطبيب العالم والامام المرشد . واليك ذلك :

١ - الصراع :

عن سالم بن ابراهيم عن الديلمي عن داود الرقي قال : حضرت أبا عبد الله الصادق (ع) وقد جاء خراساني حاج ، فدخل عليه وسلم ، وسأله عن شيء من امر الدين ، فجعل الصادق (ع) يفسره له ثم قال له : يا بن رسول الله ، ما زلت شاكياً منذ خرجت من منزلي من وجع الرأس ، فقال له (ع)

(١) اخذنا اغلب هذه الوصفات من الفصول المهمة للبحر العاملي (ره)

وتذكر برمتها في بحار الانوار ج ١٤ ص ٥٠٩ - ٥٣٢ .

قم من ساعتك هذه ، فادخل الحمام ، ولا تبتدأ بشيء ، حتى تصب على رأسك سبعة أكف ماء حار ، وسم الله تعالى في كل مرة فانك لا تشتهي بعد ذلك منه أبداً ففعل ذلك وبرىء من ساعته .

٢ - الزكام :

شكا اليه بعض اصحابه الزكام ، فقال (ع) : صنع من صنع الله ، وجند من جنوده بعثه الى علتك ليقلمها . فاذا أردت قلعه ، فعليك بوزن دائق شونيز ونصف دائق كندس ، يدق وينفخ في الانف ، فانه يذهب بالزكام واذا امكنك أن لا تعالجه بشيء فافعل ، فان فيه منافع كثيرة .

٣ - ضعف البصر :

شكا بعض اصحابه فتاة له ضعف بصرها ، فقال له (ع) : اكحلها بالمر والصر والكافور اجزاء سواء قال فكحلها فانتفعت به .

٤ - يماض العين :

في طب الأئمة : شكا الى أبي عبد الله (ع) رجل يماض في عينيه فامرهم أن يأخذ فلقلا ابيض ، ودار فلفل ، من كل واحد درهمين ، ونشادر صافي جيد وزن درهم ، فيسحقها كلها ، ثم ينخلها ويكتحل بها ، في كل عين ثلاث مرار وان يصبر عليها ساعة ، فانه يقطع البياض ، وينقي لحم العين ، ويسكن الوجع باذن الله ، ثم ينسل عينيه بالماء البارد ، ثم يتبعه بالانهدا كتحالاً .

٥ - وجع البطن واسهالها :

وجاءه رجل فقال له : يا بن رسول الله ، ان ابنتي ذبلت ، وبها البطن

فقال له (ع) : ما يمنعك من الارز مع الشحم ، ثم علمه طريقة طبخه ، ففعل ذلك كما أمره ، فشفيت ابنته به .

٦ — الا سهرال :

عن عبد الرحمن بن كثير ، قال : مرضت بالمدينة ، واطلق بطني ، فقال لي ابو عبد الله (ع) وامرني أن آخذ سويق الجاورس ، واشربه بماء الكون ، ففعلت فامسك بطني ..

٧ — قراقرق البطن مع السلم :

شكا ذريح قراقرق في بطنه اليه (ع) فقال له : آتوجعك ؟ قال نعم ، ففقال له (ع) : ما يمنعك من الحبة السوداء والعسل ، فاستعمله فنفعه .

٨ — البرباح الموجهة :

كتب جابر بن حسان الصوفي الى ابي عبد الله (ع) فقال : يابن رسول الله منعتني ريح شاذبة شبكت بين قرني الى قدحي ، فادع الله لي ، فدعاه ، وكتب اليه : عليك بسعوط العنبر والزئبق ، تعافى انشاء الله ، ففعل ذلك ، فعوفي .

٩ — ضعف البربر :

قال له رجل : اني اجد الضعف في بدني ، فقال له (ع) : عليك بالبن فانه ينبت اللحم ويشد العظم فقال له آخر : اني اكلت لبناً فضرني ، فقال له (ع) : ما ضررك قط ، ولكنك اكلته مع غيره فضررك الذي اكلته معه . فظننت أن ذلك من اللبن .

١٠ - صمى الربع :

عن عبد الله بن بسطام عن كامل عن محمد بن ابراهيم الجعفي عن ابيه قال دخلت على ابي عبد الله الصادق (ع) ، فقال لي (ع) مالي اراك شاحب الوجه ؟ قلت ان بي حمى الربع يا سيدي ، فقال (ع) : اين انت عن المبارك الطيب ، اسحق السكر ، ثم خذه بالماء واشربه على الريق عند الحاجة الى الماء قال : ففعلت ذلك ، فما عادت الحمى بعد .

١١ - المطبوخ مع السلم :

عن خالد بن بخيج قال : شكوت الى ابي عبد الله (ع) وجع بطني فقال لي : خذ الارز فاغسله ثم رضه وخذ منه قدر راحة (راحة اليد) في كل غداء ثم قال : اطعموا المبطون خبز الارز ، فما دخل جوف مبطون شي . انفع منه ، أما انه يدبغ المعدة ويسل الداء سلا .

١٢ - الوضغ والبرق :

شكا رجل ذلك إلى ابي عبد الله (ع) فقال له (ع) : أدخل الحمام ، وخذ معك الخنا بالنورة واطل بها ، فانك لا تعان بعد ذلك شيئاً ، قال فوالله ما فعلت ذلك غير مرة واحدة ، حتى عافاني الله تعالى .

١٣ - البلغم الكثير :

قال (ع) : خذ جزءاً من علك الرومي وجزءاً من الكندر وجزءاً من الصعتر وجزءاً من الناختواه وجزءاً من الشونيز ، ودق كل واحد على حدة دقاً ناعماً ثم ينخل ويعجل بالمسل ، ويؤخذ منه كل ليلة قدر البندقة فانه

نافع ان شاء الله .

١٤ — شربة البول :

عن الفضل قال : شكوت إلى أبي عبد الله ، أني ألقى من البول شدة ، فقال (ع) : خذ من الشونيز آخر الليل فأخذت منه مراراً فعوفيت .

١٥ — قلة الولد :

شكا عمر بن أبي حسنة الجمال إليه (ع) قلة الولد ، فقال له : استغفر الله وكل البيض والبصل ، وعنه (ع) من عدم الولد فليأكل البيض وليكثر .

١٦ — ضعف الباه :

في طب الأئمة : قال رجل لأبي عبد الله الصادق (ع) : سيدي إني اشتري الجواري وأحب أن تعلمني شيئاً اتقوى به عليهن ، فقال (ع) : خذ البصل الأبيض فقطعه واطبخه بالزيت ، ثم خذ بيضا وانقهه في قسعة وذر عليه شيئاً من الملح ، ثم اكبيه على البصل والزيت ، واطبخه ، وكل منه . فقال الرجل . ففعلته ، فكنت لا أريد منهن شيئاً إلا نلته .

إلى كثير غير ذلك مما لا تسعه هذه الرسالة الوجيزة ، وقد اقتصر نامنه على هذا القليل روماً للاختصار ، ولكن من المستحسن ذكر شرط مهم من الادواء التي جاء العلاج لها مرويّاً عن الامام الصادق (ع) في طب الأئمة والبحار وغيرهما من كتب الاحاديث والأخبار وهاك نموذج من تلك الادواء .

٣ - وجع الحلق

٤ - الزكام

١ - السعال

٢ - السل

- | | |
|---------------------------------|------------------------------|
| ٢٤ - البلة والرطوبة | ٥ - الأرياح |
| ٢٥ - الفالج | ٦ - وجع المثانة والحصى |
| ٢٦ - اللقوة | ٧ - اوجاع المفاصل |
| ٢٧ - خفقان الفؤاد | ٨ - سلس البول |
| ٢٨ - وجع الطحال والخاصرة | ٩ - الاسهال |
| ٢٩ - ذات الجنب | ١٠ - عرق النسا |
| ٣٠ - الرمد | ١١ - الجروح والفروخ |
| ٣١ - الصداع | ١٢ - الجدري |
| ٣٢ - السبل في العين | ١٣ - وجع البطن |
| ٣٣ - وجع الرجلين (الروماتيزم) | ١٤ - وجع الظهر |
| ٣٤ - ضعف الباه | ١٥ - البواسير |
| ٣٥ - لدغة العقرب والهوم | ١٦ - طفيان البلغم (الزلال) |
| ٣٦ - الحمى | ١٧ - اليبوسة |
| ٣٧ - وجع الاذن | ١٨ - كثرة العطش |
| ٣٨ - الجنون والصرع | ١٩ - السموم |
| ٣٩ - علل القم والاسنان | ٢٠ - الوباء (الكلورا) |
| ٤٠ - دود البطن | ٢١ - الجذام |
| ٤١ - الزحير (الديزنتري) | ٢٢ - البرص |
| | ٢٣ - البهق |

وانه ليجد الباحث في غضون التأليف كلمات قيمة ضافية عن الامام
جعفر بن محمد الصادق (ع) في الادوية التي وصفها للعلاج في الامراض

المذكورة وغيرها مما تنم عن تخصصه بالقرن وتضلعه فيه ، لو جمعت تلك
الكلم لتأتي منها كتاب حافل .

واليك جملة تلك الادوية (١) :

١ - الحبة السوداء	١٧ - ابوال اللقاح	٣٣ - الجبن
٢ - البنفسج	١٨ - الكندس	٣٤ - دهن الشيرج
٣ - الكماء	١٩ - العنبر	٣٥ - الهندباء
٤ - الفلفل الابيض	٢٠ - الزئبق	٣٦ - السنا
٥ - دار فلفل	٢١ - الاهليلج الاسود	٣٧ - الزبيب
٦ - النشادر	٢٢ - البليج	٣٨ - العناب
٧ - الصبر	٢٣ - الآمالج	٣٩ - بزر القطونيا
٨ - الكافور	٢٤ - الخلل	٤٠ - الحرمل
٩ - المر	٢٥ - الدارصين	٤١ - اللبان
١٠ - الكاشم	٢٦ - الزنجبيل	٤٢ - الأشنان
١١ - الأرز	٢٧ - الشقاقل	٤٣ - الاهليلج الاصفر
١٢ - السماق	٢٨ - الانيسون	٤٤ - الاهليلج الكبلي
١٣ - الكمون	٢٩ - الخولنجان	٤٥ - السكر السلياني
١٤ - الجاورس	٣٠ - الوج	٤٦ - البابونج
١٥ - السكر	٣١ - الكراث	٤٧ - السلق
١٦ - حسو اللبن	٣٢ - الجوز	٤٨ - الكرنب

٤٩ - الشلجم	٥٦ - السداب	٦٣ - الفرفرخ
٥٠ - القرع او الدبا	٥٧ - الحزاء	٦٤ - الجزر
٥١ - الفجل	٥٨ - الثوم	٦٥ - الحلبة
٥٢ - الرجلة	٥٩ - البصل	٦٦ - عود البلسان وحبه
٥٣ - الجرجير	٦٠ - الباقلاء	٦٧ - علك الرومي
٥٤ - الخس	٦١ - الخوك	٦٨ - نارمشك
٥٥ - الكرفس	٦٢ - الباذروج	٦٩ - سليخة مقشرة

اضف إلى ذلك كله ما ورد عنه «ع» في الفواكه والحبوب والالبان
والادهان والأشربة والاستشفاء بها (١)

وكان ابو عبد الله «ع» لم ير بأساً من العمل الجراحي مهما احتاج
علاج المرض اليه . فقد قيل له «ع» الرجل يشرب الدواء ، ويقطع العرق
وربما انتفع به ، وربما قتله ، فقال «ع» : يقطع ويشرب (٢) .
وكذلك كان يرى الاستشفاء بالسموم أيضاً .

قال اسماعيل بن الحسن المتطبب : قلت لابي عبد الله «ع» : إني رجل
من العرب ، ولي بصر بالطب ، وطني طب عربي ، فانا نبط الجرح ونكوي
بالنار ، قال «ع» : لا بأس ، قال وقلت له : ونسقي السموم . قال «ع» :
لا بأس ، قلت ربما مات . قال (ع) : وإن مات (٣) .

(١) راجع وسائل الشيعة للحر العاملي ج ٣ ص ٢٨١ - ٣١٢ وراجع
مستدرک الوسائل للنوري ج ٣ ص ٩٩ - ١٣٥ وراجع البحار ج ١٤
ص ٥٠٩ - ٨٦٩ .

(٢) المكافي . (٣) مختصر ما رواه الكافي .

اقواله (ع) في خواص بعض النباتات :

لقد أصبح الطب الحديث — كما تشهد به الصحف الطبية والمجلات الصحية والعامة — يتراجع عند بعض النطس من الاطباء إلى عصر الأعشاب والنباتات ، ويفظر إليها نظر المقدر لمنافعها الصحية ، والمعتبر لنجاح أثرها الطبيعي في معالجة الادواء المختلفة والأمراض الكثيرة ، كما أصبحت الاطباء في مختلف الظروف والمناسبات تبحث مرضاها على استعمالها ، ذلك لما وجدت فيها من بساطة الاستعمال ، ونجاح الأثر ، وعدم الضرر او قلته . ولا عجب ، فان تقدم الفكر البشري ، والسعي وراء طلب الحقيقة لا بد وان يصل بالباحث من ذوي العقول السليمة ، والافكار الصافية إلى كنه بعض ما اودع الخالق الحكيم في تلك النباتات الطبيعية من المنافع والآثار التي خلقت هي لاجلها ، ونبئت للاستثمار بها .

فاذا ما غفل اولئك الفطاحل من الاطباء والعلماء عن ذكر فوائدها أو ذهل المجربون عن استعمالها في مواضعها طيلة هذه المدة المديدة . فان علماء القرآن وأئمة الدين الحنيف لم يغفلوها ، بل ذكروا من فوائدها وخواصها ، ما ملأ الكتب ، واستفاضت به الأحاديث الصحيحة المروية عنهم . انظر إلى كتاب طب الأئمة وطب النبي (ص) وطب الرضا وكتاب كشف الاخطار وكتاب البحار وغيرها من الكتب تجد فيها ما يفنيك ، ويفيدنا عن الاطالة في هذا المقام .

ولسكي لا نخرج عن موضوعنا ، وهو البحث عن طب الامام الصادق عليه السلام فانا نذكر لك ، بعض اقواله الطبية ، وارشاداته الصحية في النباتات التي لم تدرك الاطباء منافعها إلا بمسرد رح من الزمن ، ثم أرجو باقي

أقواله الكثيرة فيها إلى مفصلات الكتب طلباً للاختصار .
وإليك بعضها ، مع ذكر أقوال الأطباء المطابقة لها في هذا العصر
نقدمها كنموذج لما اردناه .

١ — الثوم :

قال الامام (ع) : تداووا بالثوم ولكن لا تخرجوا إلى المسجد (١) .
وقال (ع) : قال النبي (ص) : كلوا الثوم فإنه شفاء من سبعين داء (٢)
كلمة القاها الامام (ع) على اصحابه مرشداً لهم ، ولكن أتراهم عرفوا
الادواء التي يشفيها هذا النبات العجيب ؟ اللهم لا ، حتى كشفها اليوم علم
القرن العشرين وأظهر مغزى قوله وما اراد بقوله (ع) ، بعد ان كان
مخفياً على الكثير .

فلقد نشرت الصحف الفرنسية مقالا للدكتور (ريم) عربته مجلة الحكمة
البنائية تحت عنوان (هنيئاً لمن يحب الثوم) جاء فيه :

ويسرك ان تعلم ان علماء الطب ، قد عادوا الآن إلى هذا النبات مكانه
اللائق به في (الفارما كويا) الحديث وذكروا ، ان العمال الذين شادوا
هرم خوفو سنة ٤٥٠٠ ق م كانوا يكثرون من أكل الثوم ، لتقوية ابدانهم
ووقايتهم من الأمراض . . وجاء في محل آخر من المجلة قوله :

وقد أظهرت تجارب الأطباء المشهورين مثل (سالين) و (بيروت)
و « لور » و « دوبريه » وغيرهم : ان الثوم يذيب البللورات التي تتجمع
في البنية فتسبب تصلب الشرايين ، ويخفض ضغط الدم في الشرايين أيضاً .
وعلى هذا فقد أصبح الثوم خير ما يوصف لتصلبها ، وضغط الدم العالي انتهى

وبالجملة فقد ثبت في الطب الحديث : ان الثوم منشط للمعضلات القلبية ،
 وبهذا التنشيط تنظم الدورة الدموية ، وهو منق فعال للدم ، وبهذا النقاء
 يتغلب البدن على أمراض فساد الدم ، كعسر الحيض عند النساء ، وكالشيخوخة
 المبكرة والبواسير ، والروماتيزم ، وهو مطهر للمسالك التنفسية والشعبية ،
 وبهذا التطهير يفيد الربو « ضيق النفس » ويشفي بعض أنواع السل الرئوي ،
 لاسيما إذا كان الثوم ممزوجاً مع اللبن ، وذلك لتأثيره على ميكروب (كوخ)
 سبب السل المباشر . وهو موجود للمناعة في البدن ضد كثير من الامراض
 مثل الأنفلونزا ، وحمى الضنك ، وغيرها . وهو يحسن لون البشرة ،
 ويحمر للوجه ، ومطهر للأمعاء من التعفنات لاسيما في الأطفال ، وبذلك
 يكون واقياً من الإصابة بالتيفوئيد ومفيداً للحناق « ديفتريا » ، ومسكناً
 للسعال الديكي ، إلى غير ذلك .

وقد قيل ان البلاد التي يكثر فيها استعمال الثوم لا بد وان تطول اعمار
 اهلها ، وان يتمتعوا بصحة جيدة .

مضافاً إلى ما فيه من تطهير التعفنات الداخلية ، والالتهابات المعوية
 والقروح العديدة ، مزمنة كانت أو حادة ، كما انه يدر الحيض والبول وينفع
 الحصى في الكلى ، والديدان الخيطية في الأمعاء .

هذا بعض ما وقفنا عليه مما وصل اليه الأطباء من فوائد هذا النبات
 النافع وقد ارجأنا معرفة باقي السبعين داءً المشار اليها في الحديث إلى مفصلات
 الكتب الطبية ، فانظر إلى جوامع كلم الامام (ع) الطيبه وما اشار اليه وهو
 في عصر لا يمكن ان يدرك اهلوه ما ادركه أهل هذا العصر بعد حدوث
 الوسائل ونمو العقل البشري بالتجارب واتساع العلوم .

٢ - البصل :

قال ابو عبد الله (ع) كل البصل فان له ثلاث خصال يطيب النكهة ويشد اللثة ويزيد في الماء والجماع (١) .

وقال (ع) أيضاً البصل يطيب النكهة ويشد الظهر ويرق البشرة (٢) وقال (ع) أيضاً البصل يذهب بالنصب ويشد العصب ويزيد في الخطأ ويزيد في الماء ويذهب في الحمى (٣) .

هذا قول الامام الصادق (ع) منذ القرن الثاني للهجرة وقبل اكتشاف منافعه في الطب بل يوم كان ولم ينظر اليه بعين الاعتبار ، اما اليوم وقد اخذت التجارب تحوم حول هذه النباتات الطبيعية لتدرك ما اودع فيها من الاسرار والمنافع ، فقد تمكن الدكتور الافرنسي (٤) (لاكوفسكي) بعد الاختبارات العديدة من تقرير فوائد البصل التي مثل استخراج مصل خاص منه لمكافحة داء السرطان ، ذلك الداء الذي ما زال سراً من الاسرار ، والذي اتعب العلماء كثيراً في اكتشاف ميكروبه .

قال الدكتور (لاكوفسكي) : مازلنا نواصل التجارب ، ونأمل أن يصبح البصل الذي في المستقبل من اهم العلاجات الطبيعية لطائفة من الميكروبات . وقال الدكتور (دامر) البصل طعام ودواء في وقت واحد ويستعمله الاطباء لاستدراار البول وامراض الكلى وللاستسقاء ويفضل اكله نيأ .

وقال دكتور آخر ان البصل يحتوي على مادة لها قيمتها الطبية في تخفيف الآلام في الانف والحلق ، ومجاري التنفس ، الى غير ذلك .

(١) الفصول المهمة للبحر العالمي ١٣٧ (٢) الفصول المهمة ١٣٧

(٣) كشف الاخطار (٤) مجلة الحكمة البيروتية .

هذاما وصل اليه الطب الحديث من منافع البصل والمستقبل كقيل بمعرفة
باقي ما ذكره الامام منها ، فتأمل وانصف في حكك على معرفته الطبية وانها
مستقاة من آبائه واجداده عن الوحي .

٣ — القبول :

قالت الاطباء في خواص هذا النبات انه مفرز للبول ، منبه للمعدة على الطعام
ومقو لها ، ومنبه لعصارتها ، ومسهل للهضم ، ويعالج به الروماتيزم ، وهو
ملطف ومحلل للارياح ﴿ الغازات ﴾ وقد يولدها ، ومطهر للصدر ، ومشهي
للطعام ، وشاف للسعال مسلوفا ، ومفتت لحصى الكبد ومخرج للبلغم .
وقد قال الامام (ع) قبل اثني عشر قرنا :

كل الفجل فان فيه ثلاث خصال ، ورقه يطرد الرياح ، ولبه يسهل
البول ويهضم ، واصوله تقطع البلغم « ١ »

٤ — الجزر :

قالت الأطباء في خواصه : الجزر يحتوي على مقدار من السكر النباتي
وهو سريع التمثل ، عسر الهضم في معد الاطفال يفيد عصيره لليرقان ويكون
مع العمل مقويا للباه ، وكذلك يفيد في علاج الكبد والامعاء ويوصف
للمصابين بضيق الصدر ، ومرض الاعصاب ، ويساعد في نمو اجسام الاطفال
ويزيل الرمل ، ويقضي على الديدان اذا اكل غير مطبوخ ويزيد الدم وينشطه
في البدن ، الى غير ذلك من الخواص التي ادرها الطب اليوم ونصحت به الاطباء
وقد قال الامام الصادق ﴿ ع ﴾ في حديث روي عنه ﴿ ع ﴾ :

الجزر امان من القولنج ، ومفيد للبواسير ، ومعين على الجماع « ٢ »

(١) الكافي لثقة الاسلام السكيني (٢) الفصول المهمة

اكل الجزر يسخن الكليتين و يقيم الذكر « ١ »

٥ - البادر بحار :

قالت الاطباء في منافع و خواصه : البادر بحار غذاء ملائم لاكثر الامراض
فهو مقو للمعدة ، و ملين للصلايات ، و مع الخل مدر للبول و مطبوخه ينفع
الطحال و المرّة السوداء .

و قال الامام أبو عبد الله « ع » :

كلوا البادر بحار ، فانه جيد للمرّة السوداء ، ولا يضر الصفراء « ٢ »

كلوا البادر بحار ، فانه يذهب الداء و لا داء له « ٣ » .

٦ - القرع - (الربا)

قالت الاطباء فيه : الدبا أو القرع وهو اليقطين ايضاً : مبرد و مرطب
للدماغ ، و مفتاح للسدد ، و مدر للبول و ملين للمعدة لا سيما معدة المحرورين
و مفيد لليرقان و الحميات الحارة ، و يستعمل كثيراً لذوي الارق الشديد ،
و اما الذين تعدوا منتصف العمر و انحطت قواهم و عقولهم فعليهم بان يكثر
من اكل القرع فان فيه مزايا خاصة لتجدد القوة و الانسجة .

و قال الامام جعفر بن محمد « ع » : الدبا يزيد في العقل و الدماغ ، و هو

جيد لوجع القولنج « ٤ » .

اقواله في بعض الفواكه و الخضراوات

يؤكد العلم ان للفواكه و الخضراوات تأثيراً خاصاً في سير بعض الامراض
بل اكثرها لذلك ترى اكثر الاطباء ينصح بالاكثر من اكلها لا سيما المصابين

(١) كشف الاخطار (٢) كشف الاخطار (٣) كشف الاخطار (٤) كشف الاخطار

بالرئة والمقرس واشباههما ومما لا شك فيه أن تأثير الثمار في الجسم البشري كسواها من أنواع الغذاء اغني ان ذلك تابع لتركيبها الكيماوي ونسبة المواد الحمضية والسكرية والآزوتية الموجودة فيها . لذلك ترى ان البعض منها هاضما والبعض الآخر مليناً وقسماً مدراً ورابعاً مقوياً الى غير ذلك من الخواص والتأثيرات في الأبدان .

ثم ليعلم أن اهم ما يلحظه علم حفظ الصحة فيها ويأمر به الاطباء مرضاهم في ارشاداتهم الصحية قبل ملاحظة خواصها ومنافعها ، هو تنظيفها وغسلها مما لصق بها من الخارج ، كالغبار ، والتراب ، وما علق بأيدي الفلاحين ، والباعه ، من كل ما يحمل الجراثيم الخارجية ، فانه اذا اكلا الانسان غير مطهرة بالماء دخلت البدن وهي حاملة لتلك الجراثيم واستوطنت المعدة ، فيحدث عند ذلك ما كان يحاذر منه ، من فتك الميكروب في الجسم وعلى هذا ترى الاطباء لا زالوا ينصحون مرضاهم ومن استشارهم بغسل كل فاكهة قبل اكلاها ، ويحذرونهم من اكلاها قبل الغسل .

وقد امر الامام الصادق عليه السلام بذلك قبل ان يدرك الطب ذلك وقبل أن يلتفت اليه اي معالج وطبيب . حيث يقول « ع » :
 إن لكل ثمرة سما ، فاذا اتيت بها فأمسوها الماء ، واغمسوها فيه « ١ »
 واليك بعض تلك الفواكه والخضر على سبيل المثال اذ لم يمكن بيان كل ما ورد عنه « ع » في مثل هذا الكتيب الصغير .

١ - العنب

قال الامام « ع » : العنب ﴿ الزبيب الطائفي خ ل ﴾ يشد العصب ، ويذهب النصب ، ويطيب النفس « ٢ »

(١) طب الأئمة وكشف الاخطار وغيرها (٢) كشف الاخطار

وقال « ع » : شكاني من الانبياء الى الله الغم فأمره بأكل العنب
وفي لفظ ان نوحا شكى الى الله الغم فوحى الله اليه ان كل العنب (١)

وقال الاطباء ان للعنب فعلاً ثلاثياً ، فهو مسهل للمعدة ، ومنق للدم
ومغذ للبدن وعصيره مجدّد للقوى ومنبه للدورة الدموية ومفيد للتخمرات
المعدية ، ونافع في مداوات الكبد والكليتين ، ويشفي من داء الحميات ، وان
المداوات به تفيد في الدسبسيا (سوء الهضم) والنقرس وامراض القلب
والصفراء والريح والبواسير ، ويخفف من وطأة السل والسرطان ، وفيه من
الفيتامينات أ - بي - سي .

وتقول علماء الطب الكيماوي انه ينشط عصارة الببسين في المعدة وينفع
الطحال واحتقان النخاع ، وفيه شيء من الأرسنيك (مستحضر من سم
الفأر) به يجعل الوجه والبشرة ، وعلى هذا قد يفيد المصابين بالزهري
« السفلس » والسل والسرطان .

فتأمل كلمات الامام (ع) على اختصارها ، تراها تشير الى اكثر هذه المنافع
التي ادركتها الاطباء فان شد العصب وذهاب النصب وطيب النفس نتاج اكثرها .

٢ - التفاح :

قال الامام (ع) : كل التفاح فانه يطفى الحرارة ، ويرد الجوف ،
ويذهب الحمى (٢)

وقال « ع » : لو علم الناس ما في التفاح ما داواوا مرضاهم إلا به ،
الا انه أسرع شيء منفعة للفؤاد خاصة ، فانه يفرجه «٣»

(١) وسائل الشريعة ص ٢٩٩ (٢) الوسائل ج ٣ ص ٣٠ (٣) كشف الاخطار

وقال (ع) : اطعموا محموميكم التفاح ، فما شئ انفع من التفاح « ١ »
 هذاما ذكره الامام (ع) عنه في كتاباته القصار الجامعة لكل ما أطراه الاطباء
 قال الاطباء فيه . التفاح مفرح ومقو للقلب والدماغ والكبد أ كلا وشما
 وهو مفيد للضعفان والربو (ضيق النفس) ومصلح لضعف المعدة ومنبه لشهوة
 الطعام ، ومطبوخه مصلح للسعال ، وهو مخفف لأمراض الجلد وجالب للنعاس

٣ - الرماد :

قال الامام « ع » اطعموا صبيانكم الرمان فانه اسرع لشبابهم « ٢ »
 وقال (ع) كلوا الرمان بشحمه فانه يدبغ المعدة ، ويزيد في الدهن (٣)
 وقال الاطباء الرمان مصفى للدم ، ومولد للخلط الصالح ومنعظ المحروين
 ومفتح للسدد ، وملين للبطن ، ومصدر للبول ، ومقو للكبد ومفيد لليرقان
 والطحال ، وخفقان القلب ، والسعال الحاد ، وهو مصفى للصوت ، وحسن
 لرونق الوجه ، ويروي به البدن ، وينفع من الديدان .

أنظر الى كلمة (اسرع لشبابهم) تجد جل هذه الخواص التي ذكرتها
 الاطباء موجودة فيها إذ لا يسرع شبابهم الا إذا صفي الدم ونولد الخلط
 الصالح وقوي الكبد وازداد رونق الوجه وحصل رواء البدن ، ثم انظر أيضاً
 الى قوله (ع) يدبغ المعدة ، فان المعدة اذا دبغت قويت على الهضم ، والغذاء
 اذا هضم جيداً اولد الدم الصالح واذا صلح الدم صلح البدن واذا صلح البدن
 زالت عنه كل ما ذكره الاطباء من الامراض فيا لها من كلمة جامعة لا
 يفهمها أهل ذلك العصر ويدرك مغازيها العلم الحديث .

(١) الكافي للكليني « ٢ » الوسائل « ٣ » الكافي للكليني

٤ السفرجل :

قال فيه الامام الصادق (ع) السفرجل يحسن الوجه ، ويجم القواد (١) وقال (ع) من أكل سفرجلة على الريق طاب مأؤه وحسن ولده (٢) قال (ع) اكل السفرجل قوة للقلب ، وذكاء للقواد (٣) هكذا وصفه الامام (ع) وهو لعمري لا يعدوا أقوال الاطباء بعد التجارب والتحقيق العلمي والعملية :

قال الاطباء السفرجل يحسن الوجه ، وهو مفرح ومقو للقلب والدماغ والمعدة ، ومسر للروح الحيوانية والنفسانية ومنعش لكثير من الاعضاء كالكلية والمثانة لذلك يدر البول ويلين المعدة ويخفف من الامها .

٥ - التين :

قال ابو عبد الله (ع) ان التين يذهب بالبخر ويشد العظم ، وينبت الشعر ويذهب بالداء ولا يحتاج الى دواء (٤) ذكر الامام (ع) أكثر خواص هذه الفاكهة على مقدار ادراك سائله ولكن العلم والتجارب أنبتتها وادركت غيرها

قال الاطباء ان التين هو الثمر المحتوي على العناصر المغذية والمادة السكرية التي تفيد الجسم فأندة جلي ، فهو يحسن الهضم وينظم الافراز ويقوي الجسم وينضج الوجه وينشط العضلات ، وإذا أخذ ليلاً نظم حركات الامعاء واكسب الجسم صحة ونشاطاً ، وبالجمله فهو لذة وغذاء وصحة وقيل إنه يفيد في علاج الكبد ، وفساد الدم ، ويوصف لداء السل والسرطان .

٦ - التمر :

قال الامام جعفر بن محمد (ع) ، وقد وضع بين يديه طبق فيه تمر : ما هذا ؟ فقيل له : البرني فقال : ان فيه شفاء « ١ »

وقال (ع) : ان فيه شفاء من السم ، وانه لا داء فيه ولا غائلة ، وان من أكل سبع تمرات عجوة عند منامه قتلت الديدان في بطنه « ٢ »

أراد الامام (ع) ان يحث الناس على اكله بقوله فيه شفاء ، وقوله لا داء فيه ولا غائلة ، دون ان ينصل منافعه وخواصه لما فيه من كثرة الفوائد التي لا يستغني عنها ، ولكن العلم أظهر خواصه وصرح بها بعده إذ

قال الاطباء : ان في التمر فوائد طبية كثيرة فهو يسخن البدن ويخصبه ويولد دماً غليظاً ، وان تقع في الحليب نفع من ضعف الباه ومغليه ، يفيد في الآفات الالتهابية ، والسهال اليابس ، وللتهابات الرئوية وتهيجات الطرق البولية ، اما البسر فهو نافع في نفث الدم والاسهال واصلاح اللثة ، الى غيرها من المنافع ، وقيل انه نافع للسرطان أيضاً ذلك لما يحتوي عليه من مادة (الماغنيوم) التي لها العلاقة الوثيقة مع السرطان ، ولقد ثبت لدى المتنبئين ان اهالي الاراضي التي تزرع التمر بكثرة تكون قليلة الاصابة بهذا المرض ، وسوف يظهر مستقبل الطب أكثر من هذه الخواص لهذا التمر النافع الطيب حتى يعلم مغزى كلمة الامام (ع) في قوله فيه : « فيه شفاء ولا داء فيه » التي تشير الى كثرة فوائده وخواصه ، فيا لها من كلمة جامعة .

(١) الكافي

(٢) الكافي لثقة الاسلام للسكيني .

٧ — الخس :

قال ابو عبد الله (ع) : عليكم بالخس فإنه يصفى الدم ﴿ ١ ﴾
وقال الاطباء : ان الخس لغني بانواع الفيتامينات ، وفيه كمية كبيرة من
الاملاح المعدنية ، بشرط ان يؤكل منه ما كان عرضه على الشمس أكثر ،
لا ما اختبأ داخله .

وقال الكيماوي (نيومان) : الخس بوفرة غناه بالحديد ، يزيد كريات
الدم الحمراء فيزيد الاحمرار في حدود آكلية وشفاههم ، ويهدئ الاعصاب
ويجلب النعاس ويولي العينين بريقاً ويزيد في لون الشعر وكله من تنقية الدم .
فتأمل في كلمته الجامعة سلام الله عليه .

٨ — الهندباء :

عن ابي عبد الله (ع) : نعم البقاة الهندباء ﴿ ٢ ﴾
وغته أيضاً (ع) : عليك بالهندباء فإنه يزيد في الماء ويحسن الولد (٣)
وغته أيضاً (ع) : من بات وفي جوفه سبع طاقات من الهندباء أمن من
القولنج ليلته (٤)

وقال الاطباء : ان الهندباء تفيد في ضعف الاعصاب ، وضعف البصر
وفساد الدم ، وانها ترد قوى الاجسام بعد الضعف والهزال ، وتنشط القلب
والكبد والكليتين ، وتنفع الرحم في تعديل مزاجه وتنقيته ، وتقضي على الحيات
يا لله ما ابلغ كلمة الامام (ع) وما اجمعها لجل تلك الخواص التي عرفها
الاطباء وذكرونها بعد تلك المدة غير القصيرة . تأمل تجد أن في كلمة - يزيد
في الماء ويحسن الولد - خاصيتين وفأنتين لم تحصلا الا بعد تعديل مزاج

(١) رواه ثقة الاسلام الكليني في الكافي . ٢-٣-٤ : في البحار ج ١٤

الرحم وتنقيته ، وبعد أن يقوي القلب والعصب وبعد أن تعود قوى الاجسام بعد الضعف والهزال فكأنه (ع) كان قد ذكر جميع تلك الآثار بذكر نتائجها من الزيادة في الماء وتحسين الولد .

الى هنا نكتفي بهذا النزر القليل مما ورد عن الامام ابي عبد الله عليه السلام من الخواص والمنافع التي ذكرها للفواكه والخضر كنموذج لبيان وفور علمه وجزيل معرفته بهذا العلم الجليل . اذ لو أردنا سرد جميع ما عثرنا عليه فضلاً عما لم نعثر عليه في الكتب والمجاميع لضاق بنا هذا المختصر . على أن الباحث مهما راجع كتاب الاطعمة والاشربة من فقه الامامية ، وامعن النظر فيه ، وفيما فيه من الآداب الجملة الواردة في الاكل والشرب ، قبلها وحينها وبعدها ، وما جاء من البحث في وقتها ، وبيان اقسام الماء كولات والمشروبات ومضارها وفوائدها ، والتفصيل الوارد في اللحوم والحبوب والفواكه والالبان والادهان وغيرها ، ليجد هناك علماً جماً ، واجتازاً ضافيه قيمة في الطب مما يجعلك مدعناً خاضعاً بان الامام الصادق عليه السلام ، في مقدم المتخصصين بعلم الابدان ، قبل علم الشرايع والاديان ، ويختب (١) الى انه صلوات الله عليه هو الحافل بعبئه الثقيل ، وعنده بجدته وهو ابن بجدته (٢) ويده عقدته وهو ابن عذره (٣) وهو العالم الوحيد بدقائقه ودقائقه وعنده قذاذاته وجذاذاته (٤) . فكم هو المصدر والمورد في العلوم الدينية ، كذلك تنتهي اليه تلکم الدروس العالية في علم الابدان .

(١) يطمئن ويخضع . (٢) يقال ذلك للعالم بالامر . والبجدة باطن الامر وحقيقته . (٣) يقال لمن بيده الحل والعقد ، وللعالم بكل جزئيات المسألة . (٤) القذاذات القطع الصغار تتساقط من الذهب والجذاذات قطع الفضة ويراد منه الاحاطة بكل جزئيات الامر ودقائقه

من كلامه الخالدة في الطب :

إن للامام أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام من الكلمات الطبية الخالدة والآراء القيمة الحكيمة ما لو نظر بها وعمل عليها لصلحت ان تكون اسساً ثابتة عامة تقوم عليها دعائم الطب ، واركان حفظ الصحة في كل عصر ومصر و لكل جيل من الاجيال فلعمرى انها السكك القصار التي قصرت عن فهم كنه مراميها نظس الاطباء و فحول العاماء اللهم إلا بعد مرور العصور وتعاقب الاجيال وتقدم العقل البشري ؛ وكثرة التجارب العالمية الواسعة . واليك فيما يلي بعض ما عثرنا عليه من تلك السكك الطيب تقدمها كشاهد عدل على ما نقول :

قال الامام ابو عبد الله (ع) كان طبيب يسمى بالمعالج فقال موسى ابن عمران (ع) يارب ممن الداء ؟ قال مني قال (ع) : ومن الدواء ؟ قال : مني . قال : فما يصنع الناس بالمعالج ؟ قال : يطيب بذلك انفسهم . فسمي المعالج طبيباً لذلك (١) .

وقال (ع) : اجتنب الدواء ما احتمل بدئك الداء (٢) .
وقال (ع) : من ظهرت صحته على سقمه فعالج نفسه بشي . فأت فانا إلى الله منه برى . وفي لفظ : فقد اعان على نفسه (٣) .
وقال (ع) غسل الاناء ؛ وكسح الفناء مجلبة للرزق (٤) .

(١) البحار ج ١٤ (٢) الفصول المهمة « ٣ » الفصول المهمة وقد ورد هذا المعنى في غير واحد من احاديث اهل البيت والمراد سحق الادواء بالطبيعة مهما تمكنت منه وعدم تعديل المزاج بالعلاج .
(٤) كتاب الاثنى عشرية . والظاهر ان القصة من هذا الحديث هو الحث على النظافة و الكسح هو الكنس والقناء ساحة الدار .

وقال (ع) : اقلل من شرب الماء فإنه يمد كل داء (١) .

وقال الامام - ع - : ينبغي للشيخ الكبير ان لا ينام إلا وجوفه ممتلئ ،
من الطعام فإنه اهدأ لنومه و أطيب لنسكته (٢) .

وقال - ع - لعنوان البصري : إياك وأن تأكل مالا تشتهي ، فإنه يورث
الحماقة والبالة ؛ ولا تأكل إلا عند الجوع ، وإذا أكلت فكل حلالا ،
وسم بالله واذكر حديث رسول الله : ما ملاء آدمي وعاء شراً من بطنه ، فإذا
كان ولا بد فثلك لطعامه ، وثلك لشرا به وثلك لنفسه (٣) .

وقال - ع - : كل داء من التخممة إلا الحمى ، فإنها ترد وروداً (٤)
وقال - ع - : إن عامة هذه الارواح (جمع ريح) من المرة الغالبة أو الدم
المحترق أو البلغم الغالب ، فليشغل الرجل بمراعاة نفسه ، قبل أن يغلب عليه
شيء من هذه الطبايع فيهلكه (٥) .

وقال - ع - : إن المشي للمريض نكس (٦) .
اقول : وفي هذا الحديث الشريف حث وتأکید على الراحة المطلوبة
للمريض مطلقاً كما عليه جل اطباء هذا العصر بل كلهم .

وقال - ع - لو اقتصد الناس في المطعم لاستقامت ابدانهم (٧) .
وقال - ع - النوم راحة الجسد ، والنطق راحة الروح ، والسكوت
راحة العقل (٨) .

وقال - ع - ليس فيما اصلح البدن اسراف ، انما الاسراف فيما اتلف

« ١ » كشف الاخطار . « ٢ » كشف الاخطار « ٣ » البحار
١ - ١٦٩ وفي الكنى واللقاب للقمي في ترجمة البصري « ٤ » رواه
البرقي في المحاسن « ٥ » البحار ج ١٤ ص ٥٤٦ « ٦ » الكافي .
« ٧ » الفصول المهمة . « ٨ » مجالس الصدوق .

المال وأضر البدن (١)

وقال (ع) : الدواء اربعة ، الحجامة والطلاء والقي والحقنة (٢)

وقال (ع) : لا تدخل الحمام إلا وفي جوفك شيء يطفى عنك وهيج المعدة وهو أقوى للبدن ، ولا تدخل وانت ممتليء من الطعام (٣)

وقال (ع) : الاستلقاء بعد الشبع يسمن البدن ويمريء الطعام ، ويسل الداء (٤)

وقال « ع » وقيل عن الرضا (ع) : لا تقربوا النساء من اول الليل صيفاً أو شتاء ، وذلك لان المعدة والعروق تكون ممتلية ، وهو غير محمود اذ يتولد منه القولنج والفالج ، والقوة ، والنقرس ، والحصى ، أو تقطير البول أو الفتق أو ضعف البصر . فان اردت ذلك فليكن في آخر الليل فانه أصبح للبدن ، وارخى للولد ، واذاكى للعقل في الولد ، ولا تجامع امرأة حتى تلاعبها وتكثر مداعبتها وتغمر ثديها ، فانك اذا فعلت ذلك غلبت شهوتها ، واجتمع ماها ، لان ماها يخرج من ثديها والشهوة تظهر في وجهها وعينيها ، ثم اشتيت منك مثل الذي تشتهي منها ، ولا تجامع امرأة الا وهي طاهرة ، فاذا فعلت ذلك فلا تقم قائماً ولا تجلس جالساً . ولكن تميل على يمينك . ثم انهض للبول اذا فرغت من ساعتك فانك تأمن من الحصى . ثم اغتسل (٥) .

وقال (ع) : ان للدم وهيجانه ثلاث علامات : البثرة في الجسد والحكة في الجلد وديب الدواب (ما يتخيله الانسان كديب النمل في بدنه) (٦) .

وقال (ع) : الحمى تخرج في ثلاث ، في العرق ، والبطن ، والقي .

وقال (ع) : خير ما تداويتم به الحجامة والطي والحمام والحقنة .

وقال (ع) : اغسلوا ايديكم قبل الطعام وبعده فانه ينفي الفقر ويزيد في

(١) الفصول المهمة (٢) الفصول المهمة (٣) الفصول المهمة (٤) بحار الانوار

(٥) البحار وغيرها (٦) هذا الحديث وما بعده عن البحار ج ١٥

العمر . أقول : بهذا أمر الامام الصادق أصحابه وتابعيه ، وعلى العمل به
 حثهم مشوقاً إليهم بقوله (ع) - انه ينفي الفقر ويزيد في العمر - ومعلوم ان
 نفي الفقر وإطالة العمر هما من نتائج الصحة الحاصلة من غسل اليدين قبل الطعام
 وبعده ، وقد اثبت الطب وحكمت التجارب العلمية والعملية العملية الكثيرة ان عدم
 غسلها مما يوجب الأمراض المختلفة التي قد ينتهي بعضها بالموت او الفقر
 المحتم ، ذلك لان اليد الملوثة بميكروبات الأمراض بواسطة لمس الاجسام
 الخارجية اذا ما لمسنا بها الطعام ولم نغسلها ثم أكلناه ملوثاً انتقل الميكروب
 الى الفم ومنه الى المعدة ومن المعدة الى الكبد والقلب ثم سائر أنحاء البدن
 ومن البديهي ان الميكروب يفتك اين ما وجد مجالا للفتك أو محلاً مستعداً
 لقبول نموه وتفريخه وبالاخير الفتك به والاضرار بجميع البدن . فاذا مرض
 الانسان بسبب هذا الميكروب المنتقل الى البدن بواسطة اليد الملوثة لا شك
 انه يخسر ماله بالمدادات وعمره باستفحال ذلك المرض اما اذا التزم بغسل اليدين
 ولم يجعل مجالا لدخول الميكروب الى جسمه اكتسب الصحة ولم يخسر ماله
 فينفي عنه الفقر ولا عمره فتطول حياته . وهذا هو المقصود من قول الامام
 (ع) انه ينفي الفقر ويزيد في العمر .

وانما شرحت هذه الكلمة دون غيرها ولو على وجه الاجمال فليس لان
 غيرها لا تحتاج الى بيان او تفصيل وان احتاج شرح الجميع الى مجلد
 ضخم ولكن لا يبين لك ان الامام (ع) كان يجمل في القول ويشير في
 أكثر كلمة القيم الى أفيد الخواص وانفع ما يمكن ان يدركه السامع يومئذ
 وكأنه كان يلاحظ على الدوام حال المستمع وقابلية السامع ، وينظر الى القول
 المشهور - كلم الناس على قدر عقولهم - حرصاً على الفائدة ، وطلباً للنفع العام
 على ان كلامه (ع) كان بعيد المرمى ، عظيم المغزى ، يدركه كل عقل على

حسب تقدمه وتدرجه ، لذلك ترى في هذا العصر وقد اكتمل العقل ، أخذ يدرك منه ما لم تكن تدركه العقول الماضية ، وهذا وأيم الحق هو الكلام الملمهم ، والعلم السماوي الذي علمهم اياه جد هم النبي الأمين عن جبرائيل عن الله تعالى وما ابلغ قول من قال .

وتابع اناساً قولهم وحديثهم روى جدنا عن جبرئيل عن الباري

المصادق (ع) والطب الروحي

كما ان الأجسام تمرض ، فتفقد صحتها ، وتحتاج الى العلاج بما يعدل انحرافها ويعيد اليها صحتها المفقودة ، كذلك الأرواح والنفوس ، فانها تمرض بانحرافها الى الرذائل والصفات الذميمة ، فتحتاج عند ذلك الى العلاج بما يقوم اودها ليرجعها سيرتها الاولى من صحة الاتصاف بالاخلاق الفاضلة والصفة الحميدة وبعبارة أوضح ان الارواح والنفوس اذا تغلبت عليها الرذائل من الصفات وتسيطر عليها الشهوات الحيوانية والعواطف الدنيئة انحرفت صحتها ، وفقدت رونقها الروحي وميزتها النفسية التي بها امتازت عن الجسمية الكثيفة وعمدت شفافيتها ولطافتها التي كانت عليها حال صحتها يوم كانت سليمة .

ولقد عالج الحكماء والفلاسفة ، تلك الادواء النفسية ، والاسقام الروحية بأنواع العلاجات ، منذ العصور الغابرة حتى اليوم ، ووضع علماء النفس واساتذة التربية ، احكم القوانين واتقن النظم والقواعد لاصلاحها فلم يفلحوا اذ لم يجدوا لها علاجاً حاسماً ، ولم يعثروا على دواء ناجع لعلاجها سوى الدين السماوي الذي هبط على الانبياء والرسل ، ليرفع هذه الانسانية من حضيض الرذائل والجهل الى مرتفع الفضائل والعرفان والذي جاء لاسعاد هذا الخلق كيما يعيشوا بسلام وهناء ، ولينبلج في الارض صبح الرشاد ، فترهو مخضرة

الجوانب برياض النعيم ما دام الناس يعملون بقوانينه ويتبعون سبل تعاليمه وارشاداته . فما من طبيب أدري بادواء النفوس من باريء النفوس ولا حكيم أدري بأسقام الأرواح كالدين ، ولا عالم اعرف بطرق علاجها وأسباب شفاؤها كالشارع المقدس .

إذاً فإن الدين أثره الفعال في تطبييها ، وإن له لمعاجز باهرة في اصلاحها تفوق معاجز الطب الفنية في مداواة الاجسام .

فما اشبه الدين بالسحر ، لولا ان الدين خير كله ، والسحر شر كله وما أشبهه مبلغه بنطس الأطباء الذين عرفوا الداء والدواء ، فارجعوا الامزجة المنحرفة الى صحتها واعتدالها .

فلقد جاء الدين الاسلامي الحنيف بالاخلاق الفاضلة ، حفظاً لصحة النفوس البشرية ، وأمر متبعيه عليها وقاية لارواحهم ونفوسهم من شرورها ، كما ان النبوة الكبرى قد تكفلت بصلاح البشر من ناحيتي الروح والجسد فكانت فيها حياته وسعادته ، وتقدمه ورقيه ، في عالميه الدنيا والآخرة . قال الله تعالى :
(استجبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحكيكم) . وقال تعالى :

من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنجزيه حياة طيبة وقال عز من قائل
قد جاءكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور ، وقال سبحانه :
ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين .

هذا وقد بعث النبي الامين صلى الله عليه وآله ، وهو ينادي : انما بعثت لاتيهم مكارم الاخلاق ، فعاش ﴿ ص ﴾ طيلة حياته الشريفة ، وهو يندرج تعاليمه الحكيمة ، ومكارم الاخلاق الاسلامية الفاضلة ، في نفوس الامة ، وينير لها طريق الحياة السعيدة روحاً وجسماً ، حتى رفعه الله تعالى اليه ، فلم يهمل هذه الناس سدى ، بل خلف فيهم التثمين ، كتاب الله ، وعثرته ، فكان

القرآن المجيد كتاب الله الصامت والعتره النبوية كتابه الناطق ، الذي يوضح للناس ما خفى عليهم من تعاليمه الاصلاحية ، ويرشدكم بتوضيحه الى ما لم يدركه سواهم من الكنوز القرآنية الخفية .

أجل ولقد كانوا هم الادلاء على الخير والهدى والمرشدين الى طرق السعادة والحياة الحقيقية ، كما كانوا هم الاطباء للنفوس بكل ما تحتاج من العلاجات الروحية ، والمداواة النفسية .

لذلك ترى كل امام من اولئك العتره الطاهرة كان يعالج بعد النبي (ص) ادواء أهل عصره بنوع من العلاج الروحي يوافق عقولهم ويلائم مداركهم كطبيب يواسي مرضاه بكل عطف وحنان ورأفة حتى يوصلهم الى ساحل الصحة والسعادة .

ولما كان عصر الامام ابي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام عصرآ مليئآ بالأهواء المتعاكسة ، والآراء المختلفة ، والاخلاق المتفاوتة ، والمذاهب المتشعبة ، عصرآ تفسخت فيه الاخلاق الاسلاميه ، وتسمعت النفوس ، وانحرفت صحة الارواح ، كان الامام (ع) يرى نفسه - بطبيعة الحال وحسب وظيفته الساوية - هو الطبيب المسؤول امام الدين عن صحتها والمتكفل بتطبيبها ومداواتها .

وكيف لا يرى نفسه كذلك ، وهو كتاب الله الناطق ، الذي قال النبي (ص) فيه وفي آبائه وفي القرآن : (اني خلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما ان تمسكتهم بهما لن تضلوا بعدي ابدأ)

نعم كان ابو عبد الله (ع) يرى نفسه هو المسؤول عن علاج هذه الأمة ومداواة أمراضها الروحية ، التي انتابت نفوسها بطغيان الرذائل على الفضائل ، فيمكن (ع) يطبها بانواع من أقواله الحكيمة ، ومختلف ارشاداته

القيمة ، وتعالجيه الشافية ، حسب مداركهم وشعورهم شأن الفيلسوف المداري والطبيب الداوي .

واليك نموذج من طبه الروحي ومعالجته النفسية التي اراد بها شفاها من اسقامها الفتاكة بالفرد والمجتمع ، مكتفين بالقليل عن الكثير ، لعدم اتساع هذا الجزء علاداء كل ما ورد عنه عليه السلام في هذا الباب . فنقول :

١ — الغضب :

الغضب حالة في النفس تثيرها أمور منتظرة أو غير منتظرة ، فتخرج العقل عن استقامته ، وتصد الغضوب عن رشده وصوابه ، وتفقد سلطانه على فكره وادراكه فيختل مزاج الذهن ، وتتهيا الاعضاء فيها للفتك والانتقام ذلك لان الدم يشور فيها فيسرع الى القلب ، ثم ينتشر منه في العروق ، ويرتفع الى اعالي الرأس ، فيحمر الوجه ، وتنتفخ الودجان ، ثم يجيش في الصدر فيعبس الوجه ، وتكمش الشفتان عن الأسنان ، وهناك تتأهب الاعضاء بسبب هذا الثوران في الدم للفتك والانتقام ، وقد قيل فيه :

ولم ار في الاعداء حين اختبرتهم
عدوا لعقل المرء أعدى من الغضب
وأهم أسبابه الوراثية أو الامراض أما الاسباب المهيئة له فكثيرة منها المزاج العصبي والتسمات الحادثة عن المآكل الحادة والمشروبات الروحية ، كما ان المحيط والبيئة والتربية الاثر البالغ في احداث الغضب وشدة وطأته .

قال بعضهم : ان من الاسباب المهيجة للغضب الزهو والعجب والمزاج والهزء والممارات والغدر وشدة الحرص على فضول المال والجاه ، وهي باجمعا اخلاق رديئة مذمومة ، ولا خلاص منه مع بقاء هذه الاسباب الابازالة هذه الاسباب الممرضة الى اضدادها .

وان للغضب من العواقب كثيراً من الامراض التي لا يستهان بها كالاصابة بالسل الرئوي ، وسوء الهضم ، والتهاب الاعصاب ، والزيف الدموي بأنواعه وقيل ان الغضوب قد يصاب بحالة شبيهة بداء الكلب ، بحيث اذا عض احداً مثلاً أدى الى موته ، مما يدل على ان في ريق الغضبان سمّاً زعافاً ، لا يؤثر على صاحبه فحسب ، بل يؤثر أيضاً على من يقع عليه .

فالغضب داء روحي ومرض نفسي خطير يضر بصاحبه أولاً وكثيراً ما يتعمده الى الغير . ويوقع صاحبه في ارتكاب الجرائم من غير واعية أو ادراك وكم عالج الحكماء والفلاسفة والاطباء والعمام هذا الداء بأنواع العلاجات رجاء شفاؤه ، ولم يفلحوا . ولكن الدين الاسلامي الحكيم قد عالجه بأخف العلاجات وانجعها . وصده صدأ بمختلف الواقيات . كما ورد في الحديث النبوي الشريف قوله صلى الله عليه وآله :

إذا وجد احدكم من ذلك (أي الغضب) شيئاً فإن كان قائماً فليجلس أو جالساً فليتم فان لم يزل بذلك فليتوضأ بالماء البارد أو يغتسل فان النار لا يطفئها إلا الماء « ١ » .

وقال الامام الصادق (ع) : الغضب مفتاح كل شر (٢) .

قال « ع » : الغضب ممحقة لقلب الحكيم - ٣ -

وقال « ع » : من لم يملك غضبه لم يملك عقله - ٤ -

وقال « ع » : اذا لم تكن حليماً فتعلم . وفي الآخر : كفى بالحلم ناصراً (٥)

وقال « ع » : من ظهر غضبه ظهر كيدته ومن قوى هواه ضعف حزمه (٦)

(١) البحار وكشف الاخطار (٢) الكافي في باب الغضب

(٣) الكافي (٤) الكافي (٥) الكافي (٦) البحار ج ١٧

٢ الكذب :

الكذب انحراف النفس عن صحة الصدق ، والتواء الروح عن اداء واجبها الانساني ، وهو مرض فردي واجتماعي خطير فيحدث في صاحبه من اعراض الرذائل كالغش والتفاق والمداهنة والعدو والغيابة والرياء وخلف الوعد ونقض العهد وغيرها ، مما كان الصدق واقياً له منها ، وحافظاً للنفس من الوقوع فيها على ان الكذب هو نفسه قبيح لا يليق بالانسان معتدل المزاج ، أن يتصف به ، فيكون عضواً فاسداً مفسداً في مجتمعه ، يهلك نفسه ويعيدي الآخرين فيمرضوا بمرضه .

وقد قال الامام الصادق « ع » فيه : لاداء ادوى من الكذب « ١ »
من كثر كذبه ذهب بهاؤه « ٢ » من صدق لسانه زكا عمله « ٣ »
ان الله خلق للشرا اقوالاً ومفاتيح تلك الاقوال الشراب والكذب شر من الشراب (٤) .

إياك وصحبة الكذاب ، فان الكذاب يريد أن ينفعك فيضرك ، ويقرب لك البعيد ، ويبعد لك القريب « ٥ »

٣ — الحسد :

الحسد كراهة نعمة الغير وحب زوالها ، وان الحاسد لم يزل يتطلع الى نعم الله على عباده ، فلا يبتأ له حال ، وما الطف ما وصف الحساد ابو الحسن التهامي بقوله :

اني لارحم حاسدي لشرا ما ضمت صدورهم من الاوغار

(١) الحلية ج ٧ ص ١٩٦ (٢) الوسائل (٣) الكافي

(٤) جامع السعادات (٥) كتاب العشرة

نظروا صنيع الله بي فعيونهم في جنة وقلوبهم في نار وهو داء في النفس اشد من داء البخل ، لان البخل يظن بماله على الغير اما الحسود فانه يظن بمال الله ونعمه على عباده ، ويتألم من وصوله الى غيره فهو العدو بلا سبب وطالب لزوال النعمة عن غيره وان لم تصله ولقد قال رسول الله - ص - : **إن لنعم الله أعداءً** . قيل له ومن هم يا رسول الله ؟ قال (ص) : **الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله** .

وهذا الداء النفساني لم يحدث إلا عن خبث في الروح ، وانطواء النفس على الشر ، فاذا ماتمكن من امره أفسد اخلاقه ، وساقه الى القبايح والجرائم وواقع صاحبه في اشد الآلام النفسية ، والاسقام البدنية ، كما قيل :
افسدت نفسك بالحسد وهدمت اركان الجسد

واذا حصل في امة اوقعها في الشقاق والنفاق ثم الدمار ، واذا استولى على احد ارجع عذابه على صاحبه ، لان الحسود دائم العذاب ، مستمر الالم . ولذا .

قال الامام الصادق (ع) : **لا يطمع الحسود في راحة القلب (١)** .

وقال (ع) : **ليس لحسود غنى (٢)** .

وقال (ع) : **الحسود ذو نفس دائم ، وقلب هائم ، وحن لازم ، وانه لكثير الحسرات متضاعف السيئات ، دائم الغم وان كان صحيح البدن (٣)**
وقال (ع) : **ان الحسد يأكل الايمان ، كما تأكل النار الحطب (٤)**

(١) الخصال باب العشرة .

(٢) الحادي عشر . (٣) كشف الاخطار .

(٤) الكافي في باب الحسد .

٤ — الكبير :

الكبر في الانسان حال نهر النفس تدعو الى مجاوزة الحد في اعظامها واحتقار الغير ، وبعبارة اوضح ، هو استعظام النفس ورؤية قدرها فوق قدر الغير .

وهو داء عضال في النفوس الواطئة يحدث من ضيق دائرة نظر المتكبر الى نفسه ، عند ما يرى فيها فضيلة ليست عند غيره ، دون ان ينظر الى نقائصها وكمالات الغير .

وان لهذا الداء من العوارض المرضية النفسية ، ما يوقع صاحبه في كثير من الرذائل المستقبحة ، كاعتزازه بالظلم ، وعدم احتقائه بحقوق الغير ، والحمد ، والحسد ، وعدم الانقياد للحق ، وعدم قبول النصيحة واعراضه عن الارشاد ، وغير ذلك ، مما يلجى . تكبر المتكبر الى ارتكابها والابتعاد عن مكارم الاخلاق ، والى تعريفه أشار الامام (ع) بقوله « ص » : مامن أحد يتيه الا من ذلة يجدها في نفسه (١)

وقال (ع) : لا يطمع ذو كبر في الثناء الحسن (٢)

وقال (ع) : لاجهل أضر من العجب (٣)

وقال (ع) : رأس الحزم التواضع (٤)

وقال (ع) : ثلاثة مكسبة البغضاء - العجب والنفاق والظلم (٥)

٥ خلف الوعر :

خلف الوعد حالة تتصف بها النفس الخسيسة ، وتستسيغها الروح الواطئة

(١) المكافي باب الكبير . (٢) الكافي باب العشرة .

(٣) تحف العقول . « ٤ » البحار ج ١٧ . « ٥ » تحف العقول .

وهو داء نفسياني اذا ما ابتلى به المرء حرم من ثقة الناس به ، وجر الى نفسه في مجتمعه ومحيطه الويل وفقد في اصحابه واخوانه التعارف والمحبة ، هذا ضرره في صاحبه ، اما اذا ما فشا - خلف الوعد - في المجتمع كان داءاً اجتماعياً خطيراً يقف سداً دون سعادة ذلك المجتمع ، وانتظام معاملاته وحصول التعاون والثقة بين افراده .

ومن المعلوم ان مثل هذا الداء العضال لتعلقه بالنفوس الواطئة لم يجد لشفائه عقار الطبيب مجالا ولا ذكاء الفيلسوف سبيلا اذا لم يردعها وازع ديني أو واعظ داخلي يقيم إود تلك النفس الخسيسة ويرفعها إلى مستوى الانسانية الفاضلة لذلك رى الامام الصادق (ع) جاء لعلاج امثال تلك النفوس من هذا الطريق المستقيم فقال :

من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليف بالوعد (١) وقال (ع) : ثلاثة من كن فيه فهو منافق وان صام وان صلى ، من إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا اؤتمن خان (٢) إلى غير ذلك كثير .

٦ - الحرص :

الحرص شدة الكدح والاسراف في الطلب ، وفوقه الشره ، وكلاهما داء يذتاب الروح والنفس ، بسبب غلبة القوة البهيمية على العقل ، واندحار امامها مغلوباً ، واما الحريص المصاب بهذا الداء إلا فقير ، كلما ازداد حرصه ازداد فقره ، لان الفقر هو الحاجة ، والحريص والشره ما زالاً محتاجين ، لانها لم يقنعا بكل ما اعطيا ، ولم تقنأ نفسيهما بطلب الزيادة على ما في ايديهما فهما فقيران على الدوام . وقد قيل : الغنى هو الغنى النفس وقيل القناعة كمن لا يفتنى .

« ١ » كشف الاخطار . « ٢ » تحف العقول .

وعلى هذا قال الامام ابو عبد الله (ع) اغنى غني من لم يكن للحرص أسيراً (١)
وقال (ع) : من قنع بما رزقه الله فهو اغنى الناس (٢)
وقال (ع) : الحرص مفتاح التعب ومطية النصب وداع إلى التقهيم
في الذنوب ، والشره جامع للعيوب (٣) .
وقال (ع) : حرم الحريص خصلتين ولزمته خصلتان : حرم القناعة
فأفقد الراحة وحرم الرضا فأفقد اليقين (٤) .

٧ — المرء والمرء :

المرء والجدل داءان مذمومان مهلكان وشهوتان باطنيتان يعتريان النفس
منادها الاعتراض على الغير باظهار الخلل في قوله أو فعله من باب الطعن
والاستحقار لذلك الغير ، طلباً للتفوق عليه ، بابرار الكياسة والمعرفة .
وهما داءان خطيران ، أقل ما يحدث في النفس منهما ، هو حصول
التباغض والعداوة والنفرة بين المتحايين ، وذلك مما يؤدي إلى مالا تحمد عقباه
ولقد عالجها الامام الصادق (ع) بارشاداته القيمة ونصائح الدينية
إذ قال (ع) : المؤمن يدارى ولا يمارى (٥)

وقال (ع) : الجهل في ثلاث : شدة المرء ، والكبر ، والجهل بالله (٦)
ومن حديث عنه (ع) سبعة يفسدون اعمالهم ، سابعهم الذي لا يزال
يجادل اخاه مخاصمته (٧) .

« ١ » الكافي باب حب الدنيا . « ٢ » الكافي في القناعة .

« ٣ » الفصول المهمة . « ٤ » خصال الصدوق باب الاثنين .

« ٥ » البحار ج ١٧ . « ٦ » البحار ج ١ ص ٤٣ . « ٧ » خصال

الصدوق باب السبعة .

إلى هنا تنهي البحث في هذا الموضوع الواسع الذي لو اردنا ذكر كل ما ورد عن الامام عليه السلام فيه اضاقت به هذه الرسالة المختصرة التي اردنا الاختصار فيها والايجاز ، والتي لم يكن قصدا بنا إلا ان تقدم للقاري الكريم اضمامة من تلك الرياض النضرة الزاهرة التي تزدهو بتعاليم ذلك الامام العالم ، والمرشد الحكيم ، والمقتدى الناصح امامنا ابي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه وعلى آباءه الطاهرين افضل التحية والسلام مرهقين التفصيل إلى الكتب المفصلة ، ومن طلبها اهتدى والله ولي التوفيق .

والآن وبعد ان بينا لك شيئاً من طب الامام الصادق « ع » وهو بلا ريب غيض من فيض وقطرة من بحر علومه ومعارفه ارتأينا ان نذكر لك ترجمة أشهر الأطباء في ذلك العصر - أي عصر الامام « ع » - لما كان لهم من الاثر في انتشار الطب يومذاك - وبالطبع انا سنجمل تراجمهم سيراً على الطريق التي سلكتها في رسالتنا هذه .

ار طباء في عصر الامام (ع)

ليس القصد من تخصيص هذا العصر بالبحث والعناية لكونه عصر انقراض دولة وتأسيس اخرى فحسب ، ولا لأنه عصر مليء بالحوادث التاريخية والوقائع الحربية والتغيرات السياسية الزمنية ، بل لأنه عصر النهضة العلمية في الجزيرة العربية ، وريوع الرافدين ، وابتداء عهد الحضارة الاسلامية والمعارف والعلوم العربية ، من طب وفلسفة وأدب ، وغير ذلك من الفنون التي أخذت منها أرقى ما وصل اليه الأولون من الأمم المتقدمة ، ثم قدمته بعد التنقيح العلمي والعملية ، وبعد الصقل العقلي ، لقمة سائغة مربية ، إلى

الاجيال المتأخرة ، بقوا بها العربية الجذابة ، وبيانها الفصيح الخالي من شوائب النقص والتعسف ، المشتمل على تلك الآراء الجبارة ، المطابقة للعقل والوجدان والدين والفطرة ، فقد صادفت بذرة العلوم يومذاك من مفكري العرب وفلاسفة الاسلام ، أطيب ارض صالحة أثمرت للاجيال المتعاقبة اشهى الثمر وامراه .

فهو - والحق يقال - كان كحلقة وصل بين الثقافتين القديمة والحديثة وواسطة العقد بين العقلية البشرية لدى الأمم السالفة وهذا العصر الحديث . إذاً فلا غرو إذا ما خصص هذا العصر بالبحث ، واعطي من الاهمية والعناية ما هو جدير بها ، لاسيما وقد بذر الامام ابو عبد الله عليه السلام في نفوس اصحابه وتلاميذه ، والوافدين عليه من العلماء والحكماء والمفكرين تلك البذرة الطيبة ، التي أثمرت فيما بعد من الآراء السامية والحكم القيمة ، ما لم يدرك مغزاها ، ولم يصل إلى معرفتها إلا جهاذة هذا العصر الحديث بعد تقدم الطب ، واستمرار التجارب والبحث العلميين العاملين طيلة قرون وقرون . وإليك تراجم هؤلاء الاطباء الذين يرجع اليهم كثير من أسباب نشر الطب ترجمة ونقلا وتدريساً .

١ جبرئيل بن جبرئيل : (١)

هو جورجيس بن جبرئيل الجنديسابوري (٢) كان في صدر الدولة العباسية وكانت له خبرة كاملة واطلاع تام بصناعة الطب ، واطلاع واغفر على المداواة وانواع العلاج . وكان فاضلاً ، رئيساً لمدرسة جنديسابور

« ١ » عيون الانباء والقفطي . « ٢ » وفي تاريخ الحكماء جورجيس

ابن بختيشوع .

استدعاه المنصور العباسي لمداواته من علته التي عجز اطباء بغداد عن علاجها - وهي فساد معدته كما تقدم - . ولما ورد بغداد ومثل بين يديه ، اعجب به ، لجلالة منطقته ، ورزاقته عقله . ولما ذكر له العلة طمئنه ، ثم عالجها حتى برىء بسرعة .

بقي جرجيس عند الخليفة مدة ، ثم أراد الرجوع إلى بلده فلم يأذن له الخليفة ، وطلب اليه البقاء في بغداد ، بعد أن أغدق عليه الأموال والعطايا ، فاضطر للبقاء في بغداد يعالج المرضى ، وفي هذه المدة التي كان في العاصمة أخذ ينقل للمنصور كتباً كثيرة في الطب إلى اللغة العربية ، فعظم مقامه عند الخليفة وعند الناس .

ثم مرض سنة ١٥٢ هـ وطلب من الخليفة الرجوع إلى اهله ، ليرى عياله واطفاله ، وليدفن في وطنه إذا مات ، فأذن له بعد أن خلف تلميذه - عيسى بن شهلأ - مكانه . فأرسل المنصور معه خادماً خاصاً ، وامره أن جرجيس إذا مات في الطريق حمله إلى اهله ليدفن عندهم كما أراد ، لكنه وصل إلى بلاده حياً وبقي تلميذه بخدمة الخليفة كطبيب خاص للبلط .

٢ — عيسى بن شهلأ (١)

عيسى بن شهلأ الجند يسابوري تلميذ جورجيس جاء مع استاذة إلى بغداد لعلاج المنصور ، ثم بقي بعده طبيباً للخليفة بشاردة من استاذة كما مر ، ولكن هذا بدأ ييسط يده بالاذية ، خاصة على الأساقمة والبطارقة ويطالبهم بالرشى وأخذ الاموال - وكانت فيه شرارة وطمع . ولما خرج المنصور في بعض سفراته ، ووصل إلى قريب نصيبين .

كتب عيسى هذا الى مطران نصيبين يهدده ويتوعده إن منع عنه ما التمس منه ، وكان قد التمس أن ينفذ له من آلات البيعة اشياء جليله ثمينة ، وكتب في كتابه ، أليس تعلم أن امر الملك بيدي ، إن اردت أمرضته ، وإن اردت شفيتها ، فلما وقف المطران على الكتاب ، احتال في التوصل الى الربيع وزير المنصور ، وشرح له الحال ، وأقرأه الكتاب ، فوصله الربيع الى الخليفة وأوقفه على حقيقة الأمر ، فأمر المنصور بأخذ جميع ما يملك عيسى وتأديبه ، ثم نفيه أقبح نفي . وهذا هو ثمرة الشر وعاقبة صاحبه .

٣ — بن البطريق (١) :

وسماه بعضهم البطريق تخفيفاً ، هذا الطبيب كان في أيام المنصور ، وقد أمره المنصور بنقل اشياء كثيرة من الكتب القديمة فنقلها له ، وكان نقله جيداً ، إلا أن نقله كان دون نقل الطبيب حنين الذي جاء بعده والذي كان نقله بعد هذا هو المعول عليه لدى الاطباء والحكام . وستجد ترجمته في كتابنا — معجم ادباء الاطباء — وغيره من كتب التراجم .

٤ — فرات بن شحنا (٢) :

طبيب يهودي فاضل كامل في وقته متقدم العهد من تلاميذ الطبيب الشهير (تياذوق) طبيب الحجاج بن يوسف الثقفي ، وقد كان استاذه يرفعه على ساير تلاميذه . خدم في حدائته الحجاج أيضاً . ولما كبر وشاخ صعب الامير — عيسى بن موسى — العباسي . الولي العهد أيام المنصور . وكان عيسى هذا يشاوره في كل الامور . ويعجبه عقله وصواب رأيه فيما كان

ينذره به أيام خلافة المنصور . فكان عيسى يتذكره بعد وفاته كل ما وقع له شي من الامور التي كان ينذره بوقوعها . ويقول : سقى عهدك أبا فرات كأنك كنت شاهداً يومنا هذا .

٥ — موسى بن اسرائيل الكوفي ١

هذا الرجل طبيب من أهل الكوفة ولد سنة ١٢٩ وتوفي سنة ٢٢٢ هـ خدم في اواخر ايامه أبا اسحق ابراهيم بن المهدي . واختص بخدمته وتقدم عنده . وله ذكر مشهور بين الاطباء . وكان قليل العلم بالطب اذا قيس بمن كان في وقته من مشاهير مشايخ المتطببين . إلا انه كان املاً لمجلسه منهم لخصال اجتمعت فيه . كفصاحة الالفة ، مع علم بالنجوم ومعرفة بايام الناس ورواية للاشعار .

وكان ابو اسحق ابراهيم يحتمله لهذه الخلال ، ولانه طبيب العشرة جداً يدخل في كل ما يدخل فيه منادمو الملوك .

وكان ابن اسرائيل هذا في حدائقه بخدمة الامير عيسى بن موسى العباسي وكان قد خدم معه المتطبب اليهودي فرات بن شحناثا ، وهو يروي ، عنه اي عن فرات حكايات كثيرة من مشاورات عيسى له وارشاداته بالآراء الصائبة .

قال الطبيب موسى (٢) : لما عقد المنصور لعيسى بن موسى على محاربة (محمد بن عبد الله بن الحسن العلوي) وسار باللواء من داره ، قال لفرات : ماتقول في هذا اللواء ؟ قال المتطبب : أقول انه لواء الشحنة بينك وبين اهلك الى يوم القيامة ، الا اني ارى لك نقل اهلك من الكوفة الى أي البلدان أحببت

فان الكوفة بلد أهلها شيعة من تحارب ، فان قلت لم يكن لمن تخلف بها من أهلك بقيا ، وان قلت واصبت من تتوجه اليه ، زاد ذلك في اضعافهم عليك فان سامت منهم في حياتك ، لم يسلم منهم عقبك بعد وفاتك ، فقال عيسى : ويحك ان أمير المؤمنين غير مفارق الكوفة فلم انقل أهلي منها ، وهم بعد في داره ؟ فقال ان الفيصل في مخرجك فان كانت الحرب لك فالخليفة مقيم بالكوفة وان كانت عليك لم تكن الكوفة له بدار وسيهرب منها ويخلف حرمه فضلا عن حرمك .

قال موسى الطيب : فحاول عيسى نقل عياله من الكوفة فلم يسوغ المنصور له ذلك ولما فتح الله على عيسى ورجع الى الكوفة وقتل ابراهيم بن عبد الله انتقل المنصور الى مدينة دار السلام فقال له متطبيه : بادر بالانتقال معه الى مدينته التي قد احدها فاستأذن المنصور بذلك فاعلم انه لا سبيل اليه وانه قد دبر استخلافه على الكوفة فاخبر عيسى فراتا متطبيه بذلك فقال له فرات : ان استخلافه اياك على الكوفة حل لعقدك على العهد لانه لو دبر تمام الأمر لك لولاك خراسان بلد شيعتك فاما ان يجعلك في الكوفة بلد اعدائك واعاؤه وقد قتلت محمد بن عبد الله فوالله ما دبر فيك الا قتلك وقتل عقبك ومن المحال ان يوليكم خراسان بعد الذي ظهر منه فيك فسله توليتك الجزيرتين أو الشام فاخرج الى اي الولايتين ولاك فوطنها ، فقال له عيسى : أتكره لي ولاية الكوفة وأهلها من شيعة بني هاشم وترغب لي بولاية الجزيرتين أو الشام وأهلها من شيعة بني امية ، فقال له المتطبيب أهل الكوفة وان وسخوا انفسهم بالتشيع لبني هاشم فلست وأهلك من بني هاشم الذين يتشيعون لهم ، وانما تشيعهم لبني ابي طالب ، وقد اصبت من دماءهم ما قد اكسب أهلها بغضتك واحل لهم عند انفسهم الاقياد منك ، وتشيع أهل الشام والجزيرتين ليس

على طريق الديانة ، وإنما ذلك على طريق احسان بني امية لهم ، وان انت اظهرت لهم مودة متى وليتهم ، واحسنت اليهم كانوا لك شيعة ، ويدلك على ذلك محاربتهم مع عبد الله بن علي على ما قد نال من دماءهم ، لما تغالفهم وضمن لهم الاحسان اليهم ، فهم اليك اسلامتك من دماءهم اقبل .

قال موسى الطبيب : واستغنى عيسى من ولاية العهد ، وسأل تعويضه عنها ، فأعلمه المنصور ان الكوفة دار الخلافة ، لا يمكن ان تخلو من خليفة او ولي العهد ، ووعد ان يقيم في مدينة السلام سنة ، وفي الكوفة سنة وانه اذا صار الى الكوفة ، صار عيسى الى مدينة السلام وأقام بها .

قال : ولما طلب اهل خراسان عقد البيعة للمهدي ، قال عيسى لمتطبيه يافرات قد دعيت الى تقديم محمد بن أمير المؤمنين على نفسي . فقال له فتوقع ما ارى ، ان تسمع وتطيع اليوم وبعده اليوم ، قال عيسى وما بعد اليوم ؟ قال : اذا دعاك محمد الى خلع نفسك ، وتسليم الخلافة الى بعض ولده ان تسارع ، فليس عندك منعة ، ولا يمكنك مخالفة القوم في شيء يريدونه منك قال موسى فمات المتطبيب فرات في خلافة المنصور ، ولما دعى المهدي عيسى الى خلع نفسه من ولاية العهد ، وتسليم الامر الى الهادي ، قال قاتلك الله يافرات ، ما كان أجود رأيك واعلمك بما تتقومه كأنك كنت شاهد يومنا هذا .

قال موسى : ولما رأيت ما فعل ابو السرايا بمنازل العباسيين في الكوفة قلت مثملاً قال عيسى في فرات :

٦ — خصيب المتطبيب (١) :

كان خصيب هذا طبيباً نصرانياً من اهل البصرة وكان مقامه بها ذكره

ابن ابي اصيبعة في عداد الأطباء الذين كانوا في ابتداء ظهور بني العباس
وكان فاضلاً في صناعة الطب ، جيد المعالجة .

حدث محمد بن سلام الجمحي قال : مرض الحكم بن محمد بن قنبر المازني
الشاعر بالبصرة ، فاتوه بخصيب ليعالجه فقال فيه :

ولقد قلت لأهلي	اذ اتوني بخصيب
ليس والله خصيب	الذي بي بطبيب
انما يعرف داي	من به مثل الذي بي

وحدث ايضاً محمد بن سلام فقال كان خصيب الطيب هذا نصرانياً نبيلاً ،
فسقى محمد بن ابي العباس السفاح شربة دواء وهو على البصرة ، ففرض منها ،
وحمل الى بغداد ، فمات بها ، فاتهم خصيب وحبس حتى مات في الحبس .

٧ - ابن اللوايح (١)

قال القفطي : طيب مذكور كان في زمن المنصور من بني العباس ولما
حج المنصور حجته التي مات بها كان اللجاج المتطبب هذا في صحبته .

وقال ابن ابي اصيبعة : قال يوسف بن ابراهيم ، حدثني اسماعيل ابن ابي
سهل بن نوبخت ، ان أباه أبا سهل حدثه : ان المنصور لما حج حجته التي
توفي فيها ، رافق ابن اللجاج متطبب المنصور ، فكان متى نام المنصور تنادى
وذاث يوم سأل ابن اللجاج ، وقد عمل فيه النبيذ ، ابا سهل عما بقي من
عمر المنصور (حسب التجوّم طبعاً) . فقال اسماعيل : فعظم ذلك السؤال على
والدي ، وقطع النبيذ وجعل على نفسه ان لا ينادمه ، وهجره ثلاثة ايام ، ثم
اصطلحنا بعد ذلك فاما جلسا على نبيذهما ، قال ابن اللجاج لابني سهل : سألتك
عن علمك ببعض الامور ، فبخلت به وهجرتني ، ولست انجل عليك بعلمي ،

فاسمعه ، ثم قال : ان المنصور رجل محرور ، تزداد يبوسته في بدنه كل ما
أسن وقد حلق رأسه بالحيرة ، وجعل مكان الشعر الذي حلقه غالية ، وهو
في هذا الحجاز يداوم الغالية ، وما يقبل قولي في تركها ، ولا أحسب انسه
يبلغ (فيد) حتى يحدث في دماغه من اليبس ما لا يكون عندي ولا عند أحد
من المتطبيين غيري حيلة في ترطيبه ، فليس يبلغ (فيد) (إن بلغها) إلا
مريضاً ، ولا يبلغ مكة (إن بلغها) وبه حياة .

قال اسماعيل قال لي والدي : فوالله ما بلغ المنصور (فيد) إلا وهو عليل
وما وافى مكة إلا وهو ميت ، فدفن بيئر ميمون مـ

— (انتهى الكتاب) —

فهرست مواضع الكتاب

الصفحة	الصفحة
٢٦	٢
٢٨	٣
٣١	٤
٣٥	٥
٤٢	١١
٤٢	٢٠
٤٣	٢٤
٤٣	٢٥
٤٣	

الاهدا.

المقدمة

تاريخ الطب ومبدأ ظهوره

الطب عند العرب

طب الامام عليه السلام

مناظرة الامام (ع) (ع)

مع الطبيب الهندي

سؤال النصراني منه عن

تعداد عظام الانسان

الدورة الدموية

كيفية السماع والابصار

العدوى والجراثيم

الجراثيم ومجمل تاريخها

حديث الاهليلجة

وصفاته الطبية

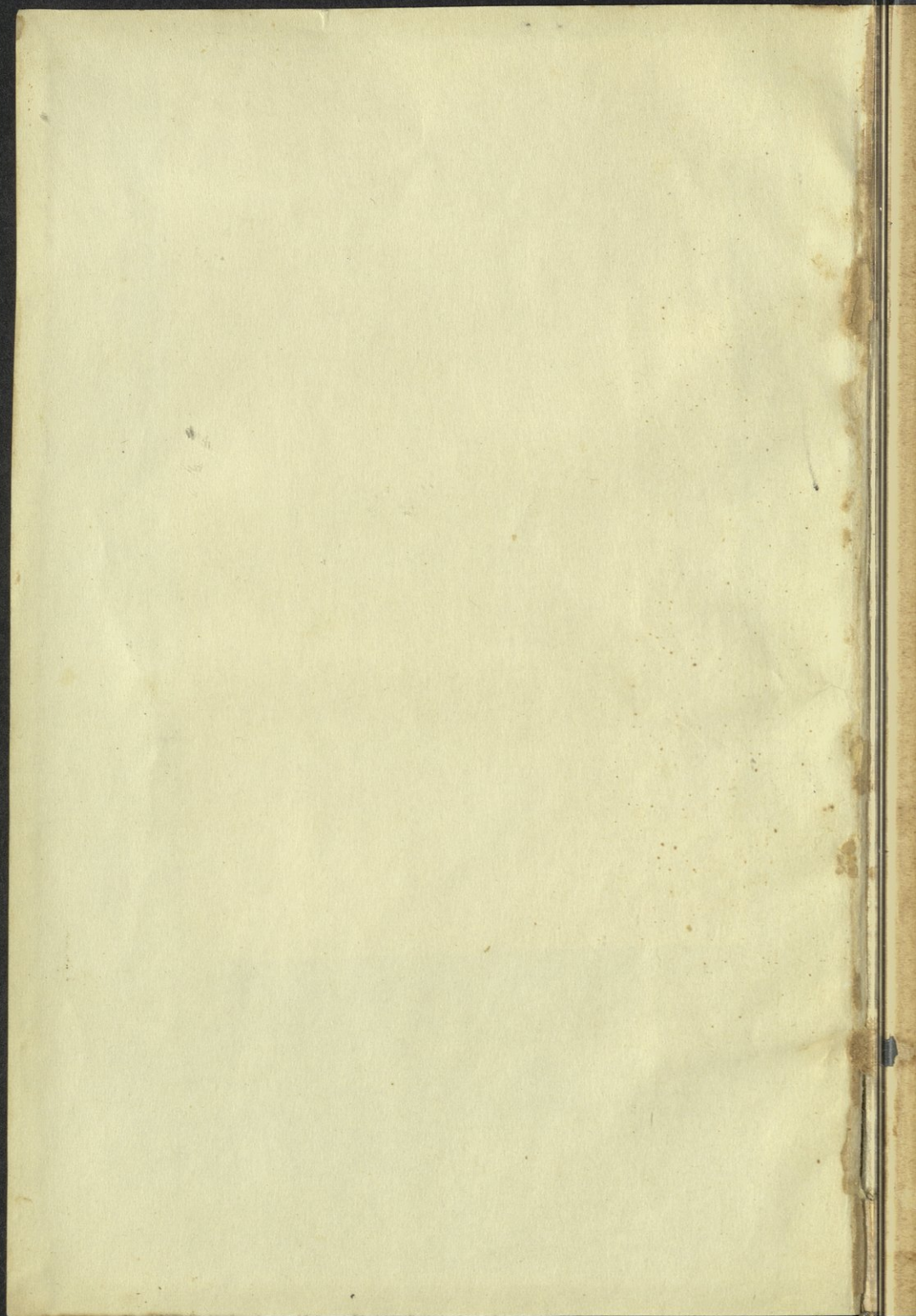
الصداع

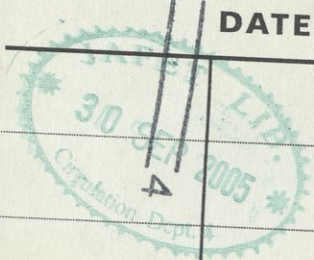
الزكام

ضعف البصر

بياض العين

٥٨	الرماف	٤٣	وجع البطن وإسهالها
٥٩	السفرجل	٤٤	الاسهال
٥٩	التين	٤٤	قراقر البطن مع الالم
٦٠	التمر	٤٤	الرياح الموجهة
٦١	الخس	٤٤	ضعف البدن
٦١	الهندباء	٤٥	حمى الربع
٦٣	من كلماته الخالدة في الطب	٤٥	المبطون مع الالم
٦٧	الصادق والطب الروحي	٤٥	الوضح والبهق
٧٠	الغضب	٤٥	البلغم الكثير
٧٢	الكذب	٤٦	شدة البول
٧٢	الحسد	٤٦	قلة الولد
٧٤	الكبر	٤٦	ضعف الباء
٧٤	خلف الوعد	٥٠	أقواله (ع) في خواص
٧٥	الحرص	٥٠	بعض النباتات
٧٦	المراء والجندل	٥١	الثوم
٧٧	الاطباء في عصر الامام	٥٣	البصل
٧٨	جرجيس بن جبرئيل	٥٤	الفجل
٧٩	عيسى بن شهاب	٥٤	الجزر
٨٠	ابن البطريق	٥٥	الباذنجان
٨٠	فراث بن شحنا	٥٥	القرع (الدبا)
٨١	موسى بن اسرائيل	٥٥	اقواله في بعض الفواكه والخضر
٨٣	خصيب المتطبيب	٥٦	العنب
٨٤	ابن اللجج	٥٧	التفاح



[illegible]

610.953:K451tA:c.1

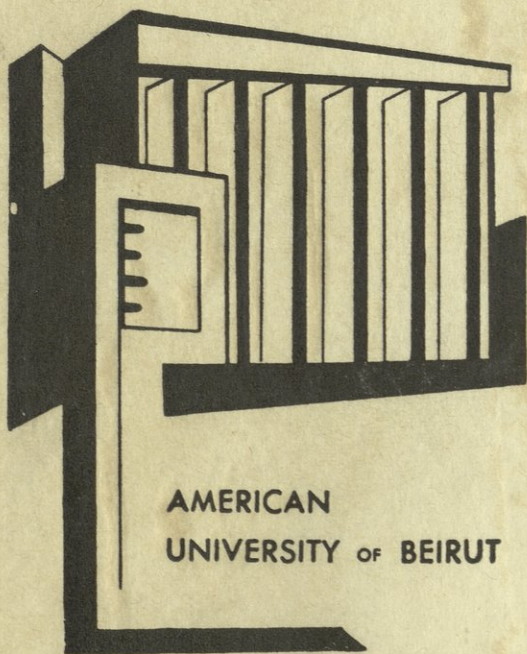
الخليلى، محمد

طب الإمام الصادق (ع)

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01027981



AMERICAN
UNIVERSITY OF BEIRUT

610.553:K4514A:C.1